الرسالة

مجلة اسبوعية ... لوم والفنون

السنة السادسة

العدد ٢٦٩

6 me Année, No. 269 — Lundi - 29 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٥٧ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إلى صاحب المعالى وزير المعارف

أذكر ياسيدى أنى كتبت إلى معاليك يوم سموت إلى منصب الوزير ورتبة الباشا كلمة صادقة صريحة فى هذا الموضع من (الرسالة) قلت فيها : إذا كان غيرك قد وصل بالأدب من غير خلق ، أو بالصحافة من غير أدب ، أو بالسياسة من غير صحافة ، فإنك لم تصل إلا بهذا الأدب الشامل الذى يشرق فيه وميض الروح، ويسيطر عليه نبل النفس ؛ لذلك نعدُّ بلوغك هذه الغاية من المجد انتصاراً للأدب المجاهد ، وترضية للقلم المجهود ، وتمكيناً للفكر الجميل أن يؤدى رسالته فى عالم أوسع وعلى طريق أسد ؛ ولذلك نجملك من بين الوزراء الصلة الطبيعية بيننا و بين أولى الأمر ، فقد قطعوا أسبابنا الواصلة ، وسَفِهوا حقوقنا المعلومة ، واعتقدوا أننا حليّ تزين و لا تنفع ، ودُمًى توجد ولا تعيش ...

وأذكر يا باشا أنك كتبت إلى على أثر هذه الكلمة الطيبة كتاباً رقيق العبارة كريم العاطفة صريح الوعد بأنك ستكون وليّاً للأدباء ونصيراً للأدب .

ثم أذكر أنك وأنت عميد الصحافة المعارِضـة كتبت فى (نزاهة الحكم) ، وخطبت فى (الحكم الصالح) مقالات سماوية

وخطباً مثالية لا تزال فِقرها وحججها ترن فى أذن الحكومة وتجرى على لسان المعارضة

أذكر كل أولئك يا باشا وأنسى أننى طلبت الإذن على معاليك فلم أنله ، وأننى كتبت إليك كتاباً فيه بعض العتب فلم تقبله ؛ ثم أنسى أننى سمعت بعد ذلك أنك لم تُرِد إنصاف (الرسالة) وقد سألتك إياه ، وأنك محوت اسمى من مشروع (المجمع الأدبى) وقد كان فيه . نعم أنسى كل ذلك يا باشا لأن هذه المعانى البشرية لا تلبث أن تموت أو تضعف فى خاطر رجلين: الوزير لأنه ينفذ أمر الملك ، والقاضى لأنه يعلن حكم الله . وولى الأمر أو ولى القضاء متى شعر أنه مظهر الإرادة العليا أخذته حال من السمو الإلهى ترفع النفس وتُرهِفُ الضمير وتُوَثِّق الذمة .

فأنا أتقدم إلى معالى الوزير بشكوى الأدب الحر وأنا مطمئن إلى عدله واثق بجميل رأيه. والأدب الحر يا باشا هو الأدب المجاهد الذى ليس له حزب يحميه ولا منصب يسنده ، وشكواه أن الأدب الرسمى بغى عليه بقوة السلطان وحكم الأثرة ، فشهد فيه الزور وحكم عليه بالباطل

هذه لجنة إنهاض اللغة العربية — ولا أريد أن أعرض لغيرها اليوم — تألفت بقرار منك فأصبحت فى حدودها الموقوتة أداة من أدوات السياسة العليا تنظر بعين المصلح، وتنطق بلسان الوزير، وتحكم بذمة القاضى. ولكنها يا باشا لم ترد أن تخرج عن إطارها الشخصى ، فمكنَت لنزعات الهوى أن تطير بين آرائها فى عمل من أعمال الناس وشأن من شؤون الدولة !

لقد سلكت فى اختيار الكتب التى تساعد الطلاب على اكتساب ملكة البيان طريقاً عجيباً إن ضمن فائدة الكاتب لا يضمن فائدة الطالب ، وإن قضى حاجة الصداقة لا يقض حاجة اللغة

ولا أريد أن أضرب مثلاً على تجنيها غير ما نالنى منها. وأدع لغيرى من الذين حكمت عليهم بالإغفال أن يضربوا بقية الأمثال فإن لهم أقلاماً وألسنة

هل تصدق يا باشا أن هذه اللجنة التى ألفتَها من أربعة شيوخ من شيوخ الدين والأدب قد استطاعت أن تحمِل العقل والضمير والفن والمنفعة على أن تلعن كتابين ألفهما جوتة ولامرتين، وترجمهما الزيات، وقدّم لهما طه حسين ومنصور فهمى، وطبعهما ونشرهما أحمد أمين ، وقرأهما الشبان والشواب فى جميع أقطار العروبة ثمانية عشر عاماً لا يرون فيهما غير الخلق النبيل والبيان المشرق والأدب المحض والإلهام المقدس ؟

هل علمت يا معالى الباشا أن هذه اللجنة الإخصائية فى علوم العربية قد أغفلت كتاباً فى صميم الفن أُلف للكتاب والطلاب ، وعالج مسائل مبتكرة فى تاريخ الأدب ، وأضاف قواعد جديدة إلى قواعد الكتابة ، وليس فى المكتبة العربية اليوم ما يحل محله ؟

لقد تساءل الناس فى الأندية والصحف عن سر هذه اللعنة، وسبب هذا الإغفال ، فأعياهم أن يجدوا الجواب ، حتى رد عليهم الأستاذ أحمد أمين عضو اللجنة بما نشرناه وعلقنا عليه فى العدد السابق من الرسالة، فانقلبت الأسئلة إلى شكوك وظنون ، وراب الأدباء من لجان الوزارة أن يكون هذا مبلغ الحق والعدل ، فى لجنة عرف أعضاؤها بالنزاهة والفضل ، وعجبوا أن يمتهن المنطق رجال المنطق ويظلم الأدب حماة الأدب ، وقالوا ماذا عسى يصنع الدهر بلجان الاختيار والتأليف والمسابقة ؟

* * *

هذا (بلاغى) يا معالى الوزير أرفعه إليك لتحقق ما فيه بعد ما قرأتَ فى العددين السابقين سؤال السائل وجواب المجيب ورد المتعقب . وصاحب المعالى هيكل باشا غنى عن السؤال والجواب والبينة ، فإنه بملكته الأدبية يعلم الفن ، وبحاسته القانونية يدرك الحق ، وبسلطته الوزارية يملك الحكم

ومعاذ الله أن يكون لهذه الشكوى مبعث غير الحِفاظ للأدب وللكرامة . فقد سلخنا فى الجهاد الأدبى ثلاثين عاماً نعمل بين الجمهور وللجمهور فما شعرنا بالحاجة إلى حماية ولا معونة . وهذه منزلة من الإيمان والصبر لا يستطيع أن يصفها لهيكل باشا الوزير، إلا هيكل باشا الأديب

احمد حسن الزيات

الأصـــل وغيره

بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

أرانى أحد الإخوان رواية لكاتب انجليزى معاصر اسمها « مذنبون بكرههم » وقال اقرأها . وقد اقتنيت نسخة منها ، ولكنى ما زلت محجما عن قراءتها وإن كان قد مضى يومان وهى على مكتبي تخايلنى كلما جلست إليه . وأحسب أن فى اسمها مايصدنى عنهـا . ولست أعنى أنى أكره القصص التى تتناول الخطيئات والذنوب والآثام ، فقلما تخلو رواية من شىء من ذلك ، بل يندر أن تخلو حياة من هذا ، فإن العصمة « عليا مراتب الأنبياء » وإنما أكره ما يبدو لي من النفاق أو المغالطة أو الجهل أو المداجاة فى هذا الاسم . ولو قال إنهم أخيار أو أطهار أو طيبون بكرههم لكان أشبه بالحق . فإن رأيى أن الانسان مطبوع على ما نسميه الشر ، وليس بمفطور على ما ألفنا أن نسميه الخير وما إلى هذين من صفات قبيحة وطيبة . والذى نعده خيراً ليس أكثر من عادة أو ضرورة ، ولكن الذى نقول إنه الشر أصل . وقد صدق النـواسى فى قوله :

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى النسـك وعودتنيه ، والخير عاده

وقد سألت نفسى غير مرة لو كنت ، ومعى ابنى — والأبناء فيما يعرف الناس ويحسون أفلاذ أكبادهم — فى صحراء جرداء لا ماء فيها ولا شجر ، ولم يبق معنا من الزاد إلا كسرة ، ومن الماء إلا قطرة ، وبرح بنا الجوع والظمأ ، فماذا كنت عسى أن أصنع ؟؟ أأوثره على نفسى ، أم أوثر نفسى عليه ؟

وآثرت الاخلاص وصدق السريرة فى الجواب فقلت إن أول ما كان خليقاً أن يدور بنفسى هو أن أوثر نفسى على ابنى ، ولعلى حقيق إذا ثقلت وطأة الاحتمال علىّ أن أقاتله على اللقمة أو قطرة الماء . ومهما يكن من ذلك فان المحقق عندي ـ فيما أشعر وأعلم ـ هو أن الخاطر الأول يكون هكذا ، أى أن تحدثنى نفسى بالاستئثار دون ابنى بما بقى لنا . وقد يتغلب العقل وعادة الكبح والنظام الذى نجرى عليه فى حياتنا المتحضرة . فيحدث أحد أمرين مثلا : أن يكون الباقي مما يحتمل القسمة ، فاقترح اقتسامه ومن يدرى؟ لعلى وأنا أكسر اللقمة الباقية أجور عليه فى القسمة؛ وإذا كان الأمر لا سبيل فيه إلى مشاركة ، فقد أقول لنفسى إن من قلة العقل أن أخطف الكسرة والماء فأطيل بذلك عمرى ساعات ، وما يبدو لنا أمل فى نجدة قريبة ، وأنا قد عشت أكثر مما عاش ، وسيقضى كلانا نحبه فليس بضائرى أن يبقى بعدى ساعات ؛ وهب ناساً أدركونا وأنقذونا فان الباقى من عمرى دون الذى مضى وانقضى ، وهو على كل حال شيخوخة وتهدم ، وأمراض وعلل ، وأوصاب وعجز ، فما حرصى على ذلك ؟ ولكن هذا صغير ولا يزال أمامه شباب طويل وريف ، فهو أولى بالحرص على الحياة والتعلق بها وأحق بذلك منى ، وقد أكره أن يرى أثرتى وقبحها وشناعتها ، وأخاف أن يعرف ذلك عنى بوسيلة ما ، فأناوله الماء وأجود عليه بالخبزة الناشفة ، وأتظاهر بالرحمة ، وأتكلف الايثار وأقول له : إنك ابنى وفلذة كبدى ، فبقاؤك استمرار لحياتى وامتداد

وفى الدنيا عشاق مجانين غير قليلين وقد يهم الواحـد منهم بالانتحار إذا ضنت عليه حبيبته بابتسامة أو أعرضت عنه فى مجلس ، أو أبت عليه قبلة وضمة . خذ هذا العاشق الولهـان ، المدله ، المزدهف اللب ، المشغوف القلب ، وأجلسه إلى جانب حبيبته المعبودة فى البرد القارس والمطر المنهمر ، وانظر ماذا يحدث ؟ أتظن أنهما يتناجيان فى تلك الساعة بحبهما ؟ ؟ أتراه يشتهى حينئذ أن يقبلها أو يضمها ، أو يبالى ابتسامها أو إعراضها ، أو يحفل ما يكون من ذلك منهـا ؟ بل سل نفسك أيخطر له الحب وهو ينتفض من البرد والمطر ويرعد ؟؟ وقد يندفع بحكم العادة فيخلع سترته ويضعها على كتفى المحبوبة المعبودة ، ولكنه لا يفعل ذلك إلا وهو كاره له ، وساخط عليه ، وناقم على الضرورة التى تدفعه إلى ذلك . ويزداد البرد مع طول الجلسة ، ويعانيان منه مالا طاقة لهما به ، فلا يبقي لهما هم إلا في هذا وفيما يمكن أن يصنعا لاتقاء عواقبه ، أو النجاة منه ، ويذهب الحب وتذهب دواعى الانتحار ، وتهبط قيمة ذلك كله إلى الصفر . فليت العشاق الذين يسلب الحب عقولهم ، يكابدون شيئا من هذه المكاره ليعلموا أن فى الوسع أن يقل احتفال المرء بابتسامة حبيبته ، وتفتر الرغبة فى ضمها وتقبيلها، بل إن فى الوسع أن يحيا بغير هـذه الحبيبة ، ولا يفكر فيها ،

ودع عنك الانتحار من أجل قبلة أبتها عليه !

وهذه الشجاعة ماذا هي ؟ إن الأصل في الانسان الجبن لا الشجاعة ، لأن غريزة المحافظة على الذات تقضي بذلك ، ولكنه يتشجع ، ويحتمل التعرض للمكاره أو المعاطب ، ويلقي بنفسه في التهلكة ، مرغما ، فقد يكون الذي يفر منه شرا مما يرمي نفسه عليه ، أو يكون في الجبن الهلاك فيستوي الأمران ، وإذن تكون الشجاعة أولى ، وأجلب لحسن السمعة وطيب الأحدوثة ، ففيها حتى مع الهلاك عزاء أدبي . أو يكون الموقف من شأنه أن يورط المرء فلا يبقى مفر من الاقدام ، والأمر معه . وقد يكون المرء ضعيف الخيال ، أو قليل الادراك فهو لا يحسن أن يقدر الأمور ، ولا يبالغ في توهم الاخطار وتجسيدها ؛ أو يكون على نقيض ذلك كبير العقل واسع الخيال ، فلا يرى بأسا من الجرأة لأن فرص النجاح أو السلامة كفرص الاخفاق والتلف ، أو أكثر ، إلى آخر ما يمكن أن يكون باعثا للانسان على مقاومة الحرص الطبيعي على الحياة والضن الفطري بها

ولا أعرف ما شأن غيري ، ولكني أعرف نفسي على قدر ما يتيسر لي ذلك ، وأعلم أني أشتهي كل ما يُشتهى في الحياة ، وإذا كنتُ لا أواقع كل لذة أشتهيها ، أو أطلبها ، أو أحلم بها ، فما هذا مني عن عفة نطرية ، وزهد في طباعي ، فان لكل حالة من حالات الحرمان علة لا تخفى عليّ ، ولا أستطيع أن أغالط نفسي فيها ، وإن كنت أغالط الناس ، ولو سألني ربي — كما سيسألني بعد عمر طويل — لأقررت بذنوب لم أقارفها ، وخطايا لم أرتكبها ، وشهوات تبحث نفسي عنها ، أو استعصى عليّ إرضاؤها ، ولطال بي الاعتراف ، والخلائق ورائي تنتظر دورها تحت الشمس المحرقة في تلك الساعة التي تذهل الأم عن ولدها ، فأشفق عليهم ، وأوجز وأقول إن ربي أدرى بي وأعرف بالظاهر والباطن ، فلا حاجة إلى الافاضة في الاعتراف . وإني ، على الجملة ، ومع تفاوت واختلاف قليلين لكما قال السمير رحمه الله :

فتراني طول عمري تائبا من غير عفة

فلا نجاة لنا إلا برحمة من الله ومغفرة .

ابرهيم عبد القادر المازني

عود الى الموضوع

الدين والأخلاق

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٢ —

لو أن الأستاذ الغمراوي قصر حديث الدين والأخلاق على الرافعي لكانت حجته أقوى ، ولكنه وقع في خطأ منطقي إذ حسب أن جميع أدباء المذهب القديم قد راعوا حرمة العرف والتقاليد وآداب الدين وأخلاقه كما راعاها الرافعي . فكأن حجته مقسمة حسب التقسيم الذي يُستشهَدُ به في الخطأ المنطقي : هي أن الرافعي راعى حرمة أخلاق الدين ، والرافعي من أدباء المذهب القديم ، فنستنتج من ذلك أن المذهب القديم يراعي حرمة أخلاق الدين . وهذا الاستنتاج كاستنتاج من يقول : الفيل له خرطوم ، والفيل حيوان ، فكل حيوان إذاً له خرطوم . وقد ظهر هذا البرهان المنطقي في أكثر من مكان في مقالات الأستاذ الغمراوي ولا سيما في المقال الأخير . انظر إلى قوله (فالمسألة في الأدب إذاً ليست مسألة لفظ ومعنى ولكنها في صميمها مسألة روح . فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحاً شهوانياً بحتاً يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل ، ولا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما لقي في ذلك من لذة وألم أو غيرهما من ألوان الشعور ؛ وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة .. إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه الأدب الجديد ... وأدب الفريق الثاني هو ما يسمونه بالأدب القديم ...)

ومن الغريب أن عدد الرسالة الذي كتب فيه الأستاذ الغمراوي هذه الجملة فيه مقال للأستاذ خلاف يشير إلى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وإلى غيرها من كتب الأدب القديم ، ونستشهد منه بالجملة الآتية : (ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة في المرأة ، ونظم الفرزدق وجرير الشتائم والسباب ، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما في معاني الشذوذ والضعف الخلقي ، وامتلأ العصر العباسي الثاني بالتفنن في تسجيل الصور الدنيئة من حياة

الانسان كما يتمثل في كتاب يتيمة الدهر (قاموس الأدب الداعر الوقح)؛ منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة إلى وجهات أخرى فى الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بحصوله)

فالأستاذ خلاف يثبت فى مقاله أن الأدب الداعر بدأه أمير شعراء الجاهلية فى مثل قوله (إذا ما بكى من خلفها ... الخ) واستمر فى عصور الاسلام إلى أن استفحل كل الاستفحال فى عصر الأدب العباسى الثانى . فهل يعد الأستاذ الغمراوى أدباء هذه العصور الذين يعنيهم الأستاذ خلاف من أدباء الأدب الجديد أم من أدباء الأدب القديم ؟ وهل قول الأستاذ الغمراوى (فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحاً شهوانياً الخ الخ) ينطبق أولا ينطبق على أدباء الأدب القديم الذين ذكرهم الأستاذ خلاف ؟ وهل ينكر الأستاذ الغمراوى أنه قلما يخلو كتاب من كتب الأدب القديمة من أشياء لا يليق بالفتيات والفتيان ولا بأى إنسان أن يقرأها ، وأن الأستاذ خلاف عند ما ضرب الأمثلة لم يقصد أن يذكر كل ما وجد من هذا القبيل ؟ إن فى كتاب يتيمة الدهر أشياء لو قرئت على الأستاذ الغمراوي لوضع إصبعه فى أذنه وفر وهو يقول : مرحباً بالجديد . وما رأى الأستاذ الغمراوى فى شرح السيد توفيق البكرى شيخ السادة البكرية ، ورجل الفضل والدين لأبيات ابن الرومى التى ذكر فيها صوت يد المجان فى المجين (راجع صهاريج اللؤلؤ) ؟ فهل السيد توفيق البكرى من أدباء المذهب الجديد ؟ وما رأيه فى الشيخ شريف رجل الفضل والدين ومفتش اللغة العربية فى وزارة المعارف وقد شرح أرجوزة ابن الرومى التى أولها (رب غلام وجهه لا يفضحه) . وليس من موبقة إلا وفى كتب الأدب القديم وصفها والافتخار بها على شكل لم يبلغه الشبان المولعون بما يسمونه (الأدب المكشوف) . ومن الغريب أن الذين ينبهون الحكومة إلى سقطات هؤلاء الشبان لا ينبهونها إلى ما فى كتب الأدب القديم من مخاز لا تسمح أية دولة بنشرها . راجع فى الأغانى أمثال قصة اصبع بن أبى الأصبع ومطيع بن إياس ، على ما أذكر ، أوسل الأستاذ خلاف عما وجد فى كتاب يتيمة الدهر حتى سماه قاموس الأدب الداعر ، بل خذ أى كتاب أو ديوان ، خذ مثلا ديوان أبى تمام وراجع القصيدة التى يخاطب فيها الحسن ابن سهل فى قوله : (إن أنت لم تترك السير الحثيث الخ) ولا سيما البيت الذى أوله (سبحان) فى الطبعة غير المنقحة ، أوخذ ديوان البحترى وانظر كيف أفحش فى المجون فى حضرة أمير المؤمنين المتوكل فى القصيدة التى يمدحه بها وأولها : (سقانى القهوة السلسل) وانظر إلى البيت الذى أوله (وقطع) فهل هؤلاء من شعراء المذهب الجديد؟ وهل أمير المؤمنين المتوكل من أدباء المذهب الجديد؟ أوخذ ديوان أمير المؤمنين عبدالله ابن المعتز ففيه أيضا مخازٍ يعجب لها الأستاذ الغمراوى . أو خذ ديوان الرجل التقى النقى العلوى صفى الدين الحلى وانظر إلى مجونه وغزله المؤنث والمذكر ، أنظر مثلا إلى سبب تضمينه الأبيات الآتية فى قصيدة له والأبيات أولها (أيا جبلى نعمان بالله خليا الخ الخ)

إن أدباء المذهب القديم وأدباء المذهب الجديد فى أيام شبابهم قد قرأوا كل هذه الكتب وقرأوا ما فيها مما لو رآه الأستاذ الغمراوي لطمسه . وقد تأثر كثير منهم بها إلى حد جعلهم لا ينكرون وجودها وجعلها فى نظرهم أشياء طبيعية مألوفة . وأدباء المذهب الجديد قد قرأوا الكتب العربية قبل قراءتهم كتب الأدب الأوربى التى يخشى الأستاذ الغمراوى قدوتها . فإذا كانت كتب الأدب الأوربى قد أثرت فيهم فان كتب الأدباء والشعراء التى يستنكرها الأستاذ خلاف لا بد أن تكون أبلغ أثراً فى نفوس الفريقين ؛ وهى أيضا بليغة الأثر فى نفوس فتيات وفتيان المدارس لأن هذه الكتب يستعيرها التلاميذ والتلميذات بمدارس البنين والبنات ، فهى بمكتبات المدارس ويُحَثُّ التلاميذ والتلميذات على قراءتها . لو كان الأستاذ الغمراوى يعرف ما يكتبه الطلبة من الحواشى أحيانا على هامش هذه الكتب المستعارة لعرف مقدار أثر كتب الأدب القديم فى نفوس النشء . إنى أتوسم فى الأستاذ الغمراوى الانصاف ، ومن أجل ذلك أعتقد أنه لو بحث هذه المسألة وفحص أثر هذه المؤلفات وأمثالها بعد أن يدرس مجونها ويهتدى إليه بهداية أهل العلم بأما كنه لا أعترف أنه إذا كان لأدبٍ ما أثر فى دفع الشبان إلى المجون والاباحية فى الأخلاق فهو أثر الأدب القديم ، وأن هذا الأدب القديم غير مقصور الأثر على التلاميذ والتلميذات ، بل إن أثره يشمل أدباء المذهب القديم المصريين وأدباء المذهب الجديد على السواء . ولا يعجب الأستاذ الغمراوى إذا قيل إن الأدب الأوربى الحديث إنما يؤدى دينا عليه للعالم العربى ، فان الأدب والشعر والفكر العربى كما كان فى

الحضارة العربية ولا سيما العباسية والدويلات التى أتت بعدها كان كثير الحرية إلى حد الاباحية فى الخلق أحيانا ؛ وقد كان هو والأدب الاغريقى القديم من العوامل التى قضت على أدب التعفف والتقشف المسيحى فى القرون الوسطى .

وما يقال فى الأدب القديم عن الآداب والأخلاق يقال أيضا عن العقيدة . نفسها فلو رجع الأستاذ الغمراوى إلى كتب الملل والنحل العربية لوجد أن بعضها لم يترك إلحادا إلا وصفه ولا كفرا إلا أطال القول فى معانيه

وأقوال ملاحدة الدولة العباسية وغيرها من الدول لا تزال أمام القراء من شعر ونثر ، وما ترك الأول للآخر شيئا .

إذاً يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يقصر قوله على الرافعى ، وأن يمجده ما شاء ، وأن يقدس مراعاته حرمة الآداب والأخلاق الاسلامية ، أما أن يقع فى خطأ الاستنتاج فهو أعظم من ذلك منزلة ؛

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يريد أن يقضى على سبب من أهم أسباب فساد الأخلاق فعليه أن يحث وزارة المعارف وإدارة المطبوعات على تشكيل لجنة لفحص الكتب العربية وطمس ما هو مفسد للأخلاق فى الموجود من نسخها وتحريم طبعه فى الطبعات الجديدة فان ائتمان أمثال هذه الكتب وهؤلاء الأدباء على أخلاق النشء (ومحاربة الأدب الأوربى) يكون كمن يأتمن لصا وطنيا على بيته وأمواله وأثاثه لأنه وطنى ؛ وقد يكون هذا اللص الوطنى أشد خطرا لأنه يؤتمن ويعهد له السبيل ويعطى له مفتاح المنزل . أو كمن يأتمن فاجرا داعرا على أبنائه لأنه كان صديق صباه وأليف أيام شبابه .

قارىء

للتاريخ السياسى

المشكلة التشيكوسلوفاكية

للدكتور يوسف هيكل

من أهم المشاكل الدولية الحالية وأبرزها : المشكلة التشيكوسلوفاكية ، فقد كادت تكون فى المدة الأخيرة سبب حرب عالمية ، ولا تزال موضع اهتمام ساسة الغرب ولا سيما الانكليز والفرنسيين منهم ، الذين يعملون على حل هذه المشكلة ليزيلوا شبح الحرب من أوروبا الوسطى

والمشكلة التشيكوسلوفاكية معقدة عويصة ، يحتاج تفهمها إلى التعرض لتاريخ تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية ، وإلى عرض صعوبات الحكومة التشيكوسلوفاكية قبل الحكم النازي فى ألمانيا ، وإلى إظهار تغير الحكم الهتلرى لعوامل المشكلة التشيكوسلوفاكية والمفاوضات الجارية لحلها . وأخيراً إلى مرامى السياسة الألمانية

تقع جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى أوربا الوسطى ، وهى محاطة بألمانيا والنمسا وهنغاريا ورومانيا وبولونيا ، ومكونة من مقاطعات بوهيميا ومورافيا وسيليسيا ، بلاد التاج البوهيمى قديماً ، ومن قسم من هنغاريا القديمة ، وعاصمتها مدينة براغ .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن بوهيميا كانت مدة خمسة قرون ، مابين عام ١٠٦٨ — ١٥٢٦ مملكة مستقلة ، وأن ملكين من ملوكها ، وهما شارل الرابع وونسيلاس الرابع ، كانا ملكين رومانيين مقدسين

وفى أثناء حروب القرن الخامس عشر الدينية قاوم أهل البلاد بنجاح الهجمات النمساوية وحافظوا على استقلالهم . غير أن تاج بوهيميا وتاج هنغاريا وُحِّدا عام ١٥٢٦ على رأس الامبراطور فرديناند الأول ، من أسرة هابسبورك . ومنذ ذاك التاريخ ابتدأت حكومة النمسا تدريجياً تجعل الحكم مركزياً ، وتحكم بوهيميا مباشرة . وقد تم ذلك بعد ثورة ١٦١٨ ، واندحار رجال التشيك أمام الجيوش النمساوية فى موقعة الجبل الأبيض عام ١٦٢٠ . ومن حينئذ زال استقلال بوهيميا باستيلاء النمسا عليها ، وأصبح السلوفاكيون تحت اضطهاد الاقطاعيين المجريين

وفى أوائل القرن التاسع عشر ابتدأت الحركة القومية

التشيكية ، وبرغم خيبة الأمل فى نجاحها أثناء الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨ ، بقيت تناضل وتطالب بالاستقلال الادارى والسياسى على أساس الاتحاد الشخصى بامبراطور النمسا . ولكن هذه المطالب رفضت ولم يتحقق استقلال التشيك والسلوفاك إلا فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩١٨ بقيادة مازاريك وبنيس

وتضم الحدود التشيكوسلوفاكية الآن ما ينيف على خمسة عشر مليوناً من السكان منهم : ٧٫٤٤٧٫٠٠٠ تشيك أى أكثر من النصف بقليل ، و ٣٫٢١٨٫٠٠٠ ألمان ، و ٢٫٨٠٩٫٠٠٠ سلوفاك ، و ٧٢٠٫٠٠٠ مجريون ، و ٥٦٩٫٠٠٠ راتينيون ، و ١٠٠٫٠٠٠ بولونيون ، و ٢٦٦٫٠٠٠ جنسيات أخرى ويهود

ومما هو جدير بالملاحظة أن ما ينوف على الثلاثة ملايين من الألمان فى تشيكوسلوفاكيا ، لم يكونوا قط تحت سيادة الحكومة الألمانية ، بل كانوا من الرعايا النمساويين المجريين

* * *

إن وجود هذه الأقليات المتعددة ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية ، خلق مشكلاتها ، مما جعل الرئيس مازاريك يعرّف مشكلة بلاده بأنها : « مشكلة الأقليات فيها »

وعند البحث فى وضعية الأقليات الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا يجب التنبه إلى أن الأكثرية الساحقة من هذه الأقلية تعيش متجمعة . وأهم من ذلك أن هذه الجموع الألمانية تؤلف إطاراً محكماً على طول الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية . ولذلك يمكن القول بأن الأقلية الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا هى أقلية حدود . فوضعية هذه الأقلية الجغرافية تحول عملياً بين تحقيق ما تطلبه من الاستقلال الذاتى

ثم إن مصانع تشيكوسلوفاكيا واقعة فى شمالى بوهيميا ومورافيا وسيلسيا ، فى الأراضى التى يتكلم سكانها الألمانية ، لذلك لا تتساهل حكومة براغ فى استقلال الألمان السوديت ، لأن ذلك يؤدى إلى خسران البلاد التشيكوسلوفاكية مصانعها الهامة التى هى من أعظم مواردها الاقتصادية ، إن لم تكن أعظمها ، وإلى استيلاء ألمانيا عليها

ومن نتائج وجود المصانع التشيكوسلوفاكية فى الأقاليم المأهولة بالألمان ، تأثر سكان هذه الأقاليم الصناعية بالأزمة الاقتصادية . ومن الطبيعى أن التذمر من الأزمة الاقتصادية يؤدي إلى التذمر السياسى . فأخذت الأقلية الألمانية تتهم حكومة براغ باتباع سياسة التحيز ، سياسة السهر على مصلحة التشيك بإيجاد أعمال لهم ، وعدم الاعتناء بالعاطلين الألمان ؛ واتسع باب التذمر وتعدى الحدود الاقتصادية إلى الحدود الثقافية والادارية فأفهمت الأقلية الألمانية حكومة براغ أنها لا تراعى حقوق الأقلية فى التعليم واستعمال لغتها ، ولا فى تعيين الموظفين ، بل هى تخالف فى أعمالها معاهدة الأقليات المؤرخة فى ١٠ سبتمبر ١٩١٩

وكانت نتيجة هذا التذمر نزاعاً بين الأقلية والحكومة ، أدى إلى احتجاج الأقلية الألمانية على الحكومة التشيكوسلوفاكية فى عصبة الأمم . وأدى هذا النزاع إلى توليد البغض الشديد بين التشيك والأقلية الألمانية

* * *

لم تبق المشكلة التشيكوسلوفاكية مشكلة محلية ، أى مشكلة أقليات ، حسب تعريف الرئيس مازاريك ، بل أصبحت منذ استلام النازى زمام الحكم فى ألمانيا مشكلة دولية بتدخل ألمانيا فى سياسة تشيكوسلوفاكيا عن طريق الأقلية الألمانية . والأقلية الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا ليست حزباً واحداً بل هى أحزاب ، منها من يريد الانضمام إلى ألمانيا ، ومنها من يريد البقاء متحداً مع حكومة براغ . ولما تسلم الحزب النازى الحكم رضى متطرفو الألمان فى تشيكوسلوفاكيا به ، وأظهروا ميلهم إليه ، وقاموا بحركات عدائية نحو حكومة براغ ، مما أدى إلى حل الحزب الألمانى القومى والحزب الاشتراكى القومى . وبعد ذلك بقليل قامت حركة جديدة بين الألمان السوديت بقيادة الهر هنلين ، فعظم شأنه وقوى حزبه

وقف الهر هنلين موقفاً يخالف موقف بقية زعماء الألمان فى تشيكوسلوفاكيا ، إذ هم يعملون على إنالة الأقلية الألمانية حقوقها التى جاء ذكرها فى معاهدة الأقليات مع بقائهم ضمن وحدة الجمهورية . أما الهر هنلين فطالب باستقلال السوديت الذاتى ، وتدخل فى سياسة تشيكوسلوفاكيا الخارجية . وذلك صريح من خطابه الذى ألقاه فى مؤتمر كارلسباد فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٨ إذ قال بعد أن ذكر مطالب حزبه الثمانية : « إننا نعلن رسمياً

وبصراحة أن سياستنا مستمدة من المبادئ والأفكار الاشتراكية القومية — مبادئ النازي — فان كان سياسيو التشيك يريدون الوصول إلى تفاهم دائم معنا نحن الألمان ، ومع الرايخ الألماني ، فعليهم أن يلبوا مطلبنا فى التغيير التام لسياسة التشيك الخارجية التى قادت الحكومة حتى اليوم إلى صفوف أعداء الشعب الألمانى »

أما المطالب الثمانية فتتلخص فيما يلى :

١ — المساواة التامة بين التشيك والألمان فى المنزلة

٢ — ضمان هذه المساواة بالاعتراف للسوديت الألمان بكيان شرعى

٣ — تحديد المناطق الألمانية ضمن نطاق تشيكوسلوفاكيا والاعتراف بهذه المناطق قانونيًا

٤ — منح هذه المناطق الاستقلال الذاتى التام

٥ — منح الحماية القانونية لكل مواطن يقيم خارج المنطقة الخاصة بجنسيته

٦ — إزالة المظالم التى نزلت بالسوديت الألمان منذ عام ١٩١٨ وتعويضهم عنها

٧ — الاعتراف بالمبدأ الذى يقرر توظيف الألمان فى المناطق الألمانية

٨ — منح الحرية التامة لمن يرغب فى الجنسية الألمانية

والهر هنلين يعمل على تنفيذ السياسة النازية الرامية إلى احتلال ألمانيا البلاد التى تتكلم أكثرية سكانها اللغة الألمانية، وإلى إلغاء المعاهدتين اللتين تربطان فرنسا وروسيا بتشيكوسلوفاكيا ، واللتين تضمنان لها استقلالها . وهذه السياسة ليست سرًا ، فقد صرح الهر هتلر فى خطابه بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٨ مذكراً الريشتاغ « أن ما يزيد على عشرة ملايين من الألمان يعيشون فى بلدين مجاورين لحدودنا». وأضاف إلى ذلك قوله : «إن ألمانيا الحالية تسهر على مصالح الريخ الألمانى الذي من مصلحته حماية هؤلاء الألمان الذين يعيشون وراء حدودنا ، والذين هم غير قادرين على نيل حقهم فى الحرية العامة ، والشخصية ، والسياسية ، وفى اتباع مثلهم الأعلى » . وقد أجاب الدكتور هودزا رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا فى ٤ مارس على ادعاء حماية الالمان لحكومة براغ بأنها « تمنى تدخلاً فى شؤون بلادنا الداخلية ، وإذا كانت ملاحظات الهر هتلر تمنى محاولة التدخل فى شؤوننا الداخلية —تدخلا يتعارض مع مبدأ الاعتراف بسيادة الدول الأخرى— فان الحكومة التشيكوسلوفاكية تمج ذلك كثيراً ، وهى لا تترك أحداً يشك فى أن سكان هذه البلاد سيدافعون عن جميع عناصر استقلالهم كدولة بجميع ما لديها من قوى حينما يعتدى على هذه العناصر ... »

وبعد أسبوع اتخذت المشكلة التشيكوسلوفاكية شكلها الخطر على سلام العالم . لأنه فى ١١ مارس اجتازت الجيوش الألمانية الحدود النمساوية ، وفى ١٣ مارس أعلن ضم النمسا إلى ألمانيا ، فأصبح فى عشية وضحاها ثلثا عشرة اللاين الذين جاء ذكرهم فى تصريح الهر هتلر فى ٢٠ فبراير مواطنين ألمانيين . عندئذ أخذ السياسيون يتساءلون عن مصير الثلث الثالث ؛ هل تعامله ألمانيا كما عاملت النمسا ؟ ولكن وضعية هذا الثلث الدولية ليست بسيطة كما كانت وضعية النمسا لأن فرنسا وروسيا لاتقفان مكتوفتى الأيدي أمام اجتياز الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا ؛ وفى ذلك خطر على السلام ومن جراء ذلك تنشأ حرب عالمية

وفى الواقع لم تتردد فرنسا فى إظهار موقفها إذ هى فى اليوم التالى لضم النمسا إلى ألمانيا أكدت بكل صراحة وعزم ، أن فرنسا تنفذ تعهداتها لتشيكوسلوفاكيا المذكورة فى معاهدتى ٢٥ يناير ١٩٢٤ و ١٦ أكتوبر عام ١٩٢٥ ؛ وفى ١٥ مارس أعلنت الروسيا بأنها ستقوم بواجباتها نحو تشيكوسلوفاكيا التى تقتضيها معاهدة الدفاع المتبادلة المؤرخة فى ١٦ مارس عام ١٩٣٥ . وفى ١٤ مارس رفض رئيس الوزارة البريطانية التعهد لتشيكوسلوفاكيا بمساعدتها حين التعدى عليها ؛ غير أنه ذكر أن القوى البريطانية تساعد الدولة المتعدى عليها فى نظر حكومة جلالته . ثم أضاف منذراً : « إنه عند ما ينظر فى السلم أو الحرب لا تراعى فقط الواجبات الحقوقية ... وإنه من المحتمل أن بلاداً أخرى بجانب البلاد التى هى داخلة فى النزاع تصبح حالا فريقاً فيه . وهذا الحكم صحيح بصورة خاصة على بريطانيا العظمى وفرنسا » ومعنى ذلك أنه إذا دخلت فرنسا الحرب لانقاذ تشيكوسلوفاكيا فان بريطانيا ستكون بجانبها

كان لهذه الانذارات الثلاثة وقع شديد في برلين ، وكان من نتائجها أن حفظ استقلال تشيكوسلوفاكيا ، وفتح باب المفاوضات بين حكومة براغ والهر هنلين لحل مشكلة السوديت . وقد نصحت حكومتا لندن وباريس حكومة براغ بالتساهل مع رعاياها الألمان . وكانت حينئذ حكومة براغ آخذة في وضع نظام الأقليات ، فتقدم حزب السوديت الألماني إليها في ٧ يوليو (تموز) عام ١٩٣٦ بمذكرة عرض عليها فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة . وكان من المتفق عليه أن يظل محتوى المذكرة مكتوماً خلال المفاوضات بين الحكومة ورؤساء الأحزاب لتسهيل سيرها . وكان مفهوماً حينئذ أن مضمون هذه المذكرة لا يختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلين في خطابه الذي ألقاه في كارلسبارد في ٢٣ أبريل

اجتمع الدكتور هودزا في ٩ يونيو (حزيران) مع مندوبي الهر هنلين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت

وفي ١٩ يوليو (تموز) نشر حزب السوديت الألماني المذكرة برغم أن المفاوضات مع الحكومة كانت لا تزال في دورها الأول وأن نصوص نظام الأقليات لم يعلم بعد ، وهي تحتوي على ١٤ طلباً رئيسياً ، يستخلص منها ولاسيما من الطلبين الخامس والسادس أن الألمان السوديت يريدون تنظيم الحكومة من جديد بصورة يصبحون فيها مستقلين تمام الاستقلال في إقليم السوديت ، وفي الوقت عينه يكون لهم صوت معادل لصوت التشيك في إدارة شؤون الدولة التشيكوسلوفاكية . وطلبات السوديت الألمان تعني في نظر براغ أن كل ألماني سيملك (استقلالا ذاتياً) يعطيه حقاً باتباع مجموعة أقسمت يمين الطاعة إلى (زعيم) لا إلى الدولة ، وأن مثل هذه المجموعة ستكون منظمة ومدارة حسب طريقة النازي ، فالنتيجة تكون تأسيس دولة أوتقراطية ضمن دولة ديمقراطية !

فهذه النقطة تظهر البون الشاسع بين مطالب الألمان السوديت وبين ما تريد حكومة براغ منحهم من الامتيازات

نعم إن نظام الأقليات لم يعلم مضمونه بعد بصورة رسمية ، غير أننا نعلم رسمياً أنه لا يحتوي على استقلال ذاتي لأي مقاطعة ما من مقاطعات البلاد التشيكوسلوفاكية ، وأن الحكومة مستعدة لقتل كل حركة انفصالية . ذلك ما صرح به رئيس الوزارة في ٧ يوليو (حزيران) ووزير الحقانية في ٨ منه

وقد نشر في ٢٧ يوليو ١٩٣٨ بطريق غير رسمي أن نظام الأقليات يتضمن ثلاثة عشر قسما ، تحتوي :

— على المساواة بين جميع الموظفين بدون تمييز بين العناصر التابعة لها

— وعلى حرية انتخاب الجنسية التي يريدها المرء متى بلغ الثانية عشرة ، على أن يكون ملماً بلغة تلك الجنسية . أما اليهود فيحق لهم انتخاب الجنسية اليهودية — دون معرفتهم اللغة العبرية

— وعلى حماية الجنسية الشخصية ، بعقاب كل من يحاول تحويل جنسية آخر

— وعلى نظام التمثيل النسبي للعناصر في الوظائف وفي الشؤون الاقتصادية ، كالاعانات والأشغال العمومية

— وعلى النسبة في التعليم والاستقلال الذاتي للأقليات في التعليم والتربية

وعلى كل حال فقد حلت المفاوضات بين حكومة براغ والسوديت الألمان الأزمة التشيكوسلوفاكية ، ولكن هذا الحل ظاهري ؛ فظلت هجمات الصحافة الألمانية شديدة على سياسة الحكومة التشيكوسلوفاكية . ولم يكف الرجال المسؤولون في حكومة برلين عن التصريحات العدائية الشديدة ضد حكومة براغ . وكان الموقف ، ولا يزال ، معقداً وخطراً على السلام ، مما أدى إلى تدخل حكومة لندن تدخلاً فعلياً في المشكلة التشيكوسلوفاكية . فقررت بالاتفاق مع باريس : إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ ليكون محققاً ووسيطاً في مسألة الأقليات . فقبلت حكومة براغ وساطة بريطانيا ، ووافق السوديت على تحكيم اللورد رنسيمان

ويستخلص من إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ نتيجتان قوبلتا بالارتياح وهما : « أن الوصاية التي تتولاها انكلترا تستلزم عند

الاقتضاء كفالة أو ضماناً ، وأنه قد زاد الأمل في الوصول إلى اتفاق سلمي وضعف الخطر الذي كان يخشى من استخدام القوة » كما يقول مسيو بلوم رئيس وزارة فرنسا السابق ، في جريدة البوبلير

* * *

ولكن هل يوفق اللورد رنسيمان في إيجاد حل ملائم لهذه المشكلة يرضى براغ من جهة ، وبرلين والألمان السوديت من جهة ثانية ؟

إن مهمة اللورد رنسيمان صعبة ، إذ عليه التوفيق بين وجهتي نظر متعارضتين . فألمانيا ترمى إلى أبعد من إزالة المظالم عن الألمان السوديت وإعادة حقوقهم إليهم . وأقل حل تقبله ألمانيا ، وبالتالي يقبله السوديت الألمان ، هو استقلال السوديت الألمان استقلالا ذاتياً ، واتباع حكومة براغ سياسة خارجية لا تتضارب مع سياسة الرايخ الخارجية ، وذلك بترك حكومة براغ معاهدتي الدفاع مع فرنسا والروسيا ، واتباع سياسة تتمشى مع سياسة حكومة برلين ، أو على الأقل اتخاذ خطة حيادية شبيهة بوضعية بولندا . واتباع إحدي هاتين الخطتين ، في نظر حكومة براغ ، لا يتفق مع بقاء البلاد التشيكوسلوفاكية بلاداً مستقلة . وهي وهى تؤدى إلى انضمام الأقاليم التشيكوسلوفاكية المأهولة بالألمان إلى ألمانيا ، وإلى زوال الحصن المائق من طريق ألمانيا إلي أوربا الجنوبية والشرقية ، وإلى تمكين ألمانيا من استئناف السياسة التى أحبطتها الحرب العالمية عام ١٩١٨

ربما تقبل ألمانيا الآن حلا آخر أقل ملاءمة لها ، ولكن ذلك الحل لا يكون فى نظرها إلا مؤقتاً . وفى الواقع اقترحت ألمانيا عقد مؤتمر رباعى من بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا لإيجاد اتفاق — مؤقت — لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية . وفى اقتراحها هذا تريد تأجيل حل المشكلة التشيكوسلوفاكية إلى أوقات أكثر مناسبة لتحقيق سياستها ، وفى الوقت عينه تحاول إقصاء الروسيا عن كل اتفاق يتم بشأن حليفتها تشيكوسلوفاكيا

وعلى كل حال ستظهر لنا الأيام القريبة نتيجة جهود اللورد رنسيمان . وسنرى ما يقترح من حل لهذه المشكلة المعقدة الخطرة على سلام أوربا

يوسف هيكل

حـــواء

يقول لى الأستاذان أديب عباسى وجميل الطوال إن مقدمة قطع حواء فى الرسالة الزاهرة لا تفى حق حواء فأجيبهم :

كل ممروض يدعو له غيره إلا الشعر فانه يدعو بنفسه لنفسه (الناظم)

فم يضحك

تلمّستُ وجهكِ بين الوجوه ووجه الحقيقــة لا يُدركُ
فلم أدرِ أيَّ دروب الحياة إلى دَرْكِ غايتـــه أسلكُ
هُواتُكِ ما فتئوا حائمين على نور وجهكِ أو يهلكوا
تراموا إليــه حفاةَ العقول فما أدركوه ولا أوشكوا
ولو بصروا من وراء الدموع دموع الهوى بكِ لم يأفكوا
ولا كشفت سخريات الوجود لأعينهم عن فمٍ يضحك

رمز الحقيقة

(ختام الديوان)

جهلتُ الحقيقةَ بين القصور وأخطأتها فى ظِلال الشجر
تلمّستها فى صَميم الحياة وفتشت عنها بطون السير
وقلّبت من صحف الكائنات صحائف تحمل شتى الصور
فلم أدر أيّةُ أرض تحـلّ ولا أىُّ أفق لها مُستَقَرّ
أفوق السما هى بين الملا ئك أم هى فى الأرض بين البشر؟
وكم خضتُ فى غمراتِ السكون وأنعمتُ في صفحتيهِ النظر
أسائل عنهـا بهيم الظلام وأنشدها تحت ضوء القمر
فما بهر العين منها الضياء ولا رنّ فى السمع منها الوتر
ولما توسدتُ بين القبور ضريحك أدركتُ بعض الأثر
وقلتُ الحقيقة تحت التراب ورمز الحقيقة هـذا الحجر

الحوماني

صلاح الدين وموقعة حطين

من أمين الريحاني
الى محمد اسعاف النشاشيبي

قرأ الأستاذ أمين الريحاني خطبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي فى (موقعة حطين) فكتب هذا الكتاب ومنه قوله :

« حيا الله الأخ الأعز ، والصديق الأبر
حبر أحبار اللغة العربية ، حياه الله
كبير أنصار الوحدة القومية ، حياه الله
رافع أعلام النبوة الخضراء والحمراء
لإعزاز العرب
ولبلوغ الأرب
ولهدى من اغترب — حيـاه ، حياه الله
النافخ فى الصور ، المنهض المحرّض المثير ، حياه الله
بحر البلاغة الزاخر ، وأفق المعانى الباهر ، ومرج البيان الساحر ، حيـاه الله

* * *

إن بيانه لإعصار فيه نار
وإنه لسماء تتلألأ بالأنوار
وإنه لبستان قلبه من النرجس وعينه من الجلنار
وإنه لمعرض من بنات الأفكار ، بنات العرب الأبكار
معرض الحب والجمال
من بنات السهول
وبنات البوادى
وبنـات الجبـال
بنات العروبة والاستقلال ، حياه ، وحياهن الله
والسلام والصلاة على كل من يردون التحية ، ويسارعون فزعين مناصرين
الله أكبر ، الله أكبر ، والوطن الأعز الأقدر ، والاستقلال الأتم الأنور .
الله والوطن والاستقلال
الله والوطن والاستقلال
لا حياة دون الثلاثة لأمة
ولا مجال ، حتى لشبح من الآمال

* * *

إن لندائك صوتاً بعيد الصدى والقرار
وإن بيانك لجدير بأكاليل من الغار
وبتهليل الأحرار
وبصلوات الأبرار
وإن إيمانك وإيماننا لمن لدن الجبار ، رب العلم والاقتدار
القائل بلسانك ولسانى : اليوم جهاد وغداً انتصار

أمين الريحانى

* * *

وهذا قسم من تلك الخطبة وهو خاتمتها :

« محمد بن عبد الله ، محمد بن عبد الله !

نحن جماعتك ، نحن شيعتك ، نحن منتمون إليك ، منتمون إلى قرآنك ، منتمون إلى دينك

هل تريد أن نبيد ، هل تريد أن يبيد قرآنك ، أن تبيد لغتك
هل تريد أن تضيع بلادك ، أن تهلك أمتك ؟ ؟

محمد !

أدركنا ، أنجدنا ، خلصنا ، أنقذنا ، نجّنا ؛ إن الأعادى تداعت(١) من كل صوب علينا ، ونحن في الدنيا جنودك ، نحن فى الدنيا رجالك ! !

أبا القاسم ، أبا القاسم !

إن التخلى عن الأحباب يوم الضنك ، يوم الضيق ، يوم البؤس ، يوم الكرب — ممقوت

أبا القاسم ، أبا القاسم ، إنا لسنا بالحريصين على الحياة ، إنا لسنا بالحريصين على بقاء ، إنا لسنا بالحريصين على هذه الدنيا وزينتها وزخرفها .

البقاء والفناء عندنا سواء ، الحياة كالممات ، والممات كالحياة .
الوجود كالعدم ، والعدم كالوجود

(١) تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتألبت بالعداوة

أبا القاسم ، أبا القاسم ! إنا إنما نبغي أن نكون في الدنيا من أجلك لأجلك ، لأجل قرآنك ، لأجل لغتك ، لأجل عربيتك.

ولولا أنت ، لولا أنت لصحنا : حيَّ على الفناء ، حيهل بالفناء ، وعلى الدنيا العفاء

هاتف من وراء الغيب يقول : لا تحزنْ ، لا تيأس ، لا تقنط نور الدين ، صلاح الدين ، حطين

* * *

إنْ خذل قرآني، إن خذل ديني ، إن خذل إسلاميتي ، إن خذل عربيتي، متسمّى بالخليفة في بغداد، متسمى بالخليفة في القاهرة متسمى بالخليفة في المغرب ...

إن خذلني سلاطين مشتغلون بالملاهي ، قد ألهتهم عني بنات الليل . وإنْ أولئك ، وإن هؤلاء إلا أسماء ، إن هم إلا هواء ...

إن خذلني خاذلون « كرِهَ اللهُ انبعاثهم فثبَّطهم وقيل : اقعدوا مع القاعدين »

إن خذلني خاذلون مخذولون فمنذي عندي محمديان، بكريان ، عمريان ، علويان : عندي بطلان ، عندي سيفان من سيوف الله المدخرة ليوم باسلٍ ذي أيام[1] . كل واحد بأمة ، كل واحد بأمم جمّة ، كل واحد بجميع قطين الأرض

عندي بطلان يجيئان وينقذان بلادي وأمتي وديني وقرآني وعربيتي ولغتي . خُذْ، خذواُ :

محمود بن الشهيد[2] ويوسف بن أيوب؛ ثم اذهب واذهبوا ، واشهدْ واشهدوا موقعة حطين !!!

قد أمسى الصليبيون في المالكين « وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ ، هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا »

حطّين ، حطين ، حطين !!!

لولا حطين ، لولا حطين لهلك المسلمون

لولا حطين ، لولا حطين لاضمحلت لغة الضاد . يوم بَدْر ، يوم اليرموك ، يوم حطين

* * *

(١) يوم ذوايام ويوم كأيام : شديد قال النابغة :

إني لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كأيام

(٢) إن لم يشهد نور الدين هذا اليوم فهو الذي خرج صلاح الدين وحفظ البلاد حتى وليها طارد الفرنج

أيها الغربيون ، إرجعوا إلى بلادكم مذمومين مدحورين ! انقلبوا إلى دياركم خائبين مقهورين !

أيها الغربيون ! علمكم نور الدين وصلاح الدين مالم تكونوا تعلمون : علماكم المروءة والوفاء ، ومكارم الأخلاق والعدل ، وأن تكونوا متمدنين مهذبين. لكنكم، لكنكم تلاميذ ألفينا كم بعد قرون (أرى الله بكم[1]) جهالا أغمارا ، غير كرام ، غير متمدنين ، غير مهذبين

* * *

نورَ الدين ! صلاح الدين ! إن القوم قد رجعوا ، إن القوم قد عادوا ، وأعادوها بعد قرون جَذَعة

* * *

اللنبي ، غورو ، قد أتانا ما قلتما ، فتعلّما أنها لما تنتهِ

أيها الغربيون! هذي بلادنا ، هذه الداردارنا ، زايلوا بلادنا، غادروا بلادنا . إنا لكم ، ولسلطانكم ، ولوجوهكم (شاهت وجوهكم ، لاحياها الله وجوها) ولمدنيتكم المموّهة الكاذبة المزوزة ، ولظلمكم ولجوركم ، ولانتقامكم — من القالين ، من المبغضين ، من المنكرين ، من الجاحدين ، من الكافرين ...

هذي البلاد بلادنا . اخرجوا من بلادنا ! إلى بلادكم ! إلى بلادكم أيها الطارئون

* * *

هناك محمد ، هناك محمد ...

« والدهرُ بالناس دوّارىّ[2] » ...

والدنيا دول ...

« وتلك الأيام[3] ... »

« ووراء الغيب ما وراء الغيب »

(١) أرى الله بهم : نكل بهم

(٢) يدور عليهم بأحواله المختلفة

(٣) قال الله تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظالمين . أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »

حنظل وتفـــاح !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

سقيتني يا دنيا بكأسيك في يوم واحد ! وكنت شاعرة حاذقة حين قدمت إلى هاتين الكأسين في وقت يكاد يكون واحداً ؛ حتى امتزجت في مذاق المرارة بالحلاوة ... وكنت صديقة مخلصة ناصحة في معاملتي حينذاك

قدّمتْ إلى كأس الحنظل حين توجهت معزياً إلى عش ذي أفراخ زُغب طارت عنه صاحبته وبانيته: أمهم الحمامة الوديعة التي أتت بهم خمسة متلاحقين ، ثم مضت عنهم وخلّت بينهم وبين أبيهم ...

وجلست أنظر فيهم من الصغير إلى الكبير — وسنه ثلاث عشرة سنة — ثم أحادث أباهم الواجم الباسم الحمول ... ثم أطير بخيالي لحظة إلى قبر الحمامة الولود ... ثم أرجع إلى نفسي أختزن فيها قوتها من بيدر الحزن الرفيع الذي أمامي ، لأن مادة نفسي في مجاعتها ...

***

قال لي الفرخ الأصغر : أمي سافرت إلى بعيد ، وسترجع ، ومعها حلوى ولعب ...

فقال الذي يليه : لا ، أمي ماتت وبكيت عليها مع النسوان . قال هذا وهو يضحك ، فطفرت الدموع إلى عين الأكبر وحدرَت ، نخرج من الحجرة ليخفي البكاء وخرج وراءه أبوه ، ووقفت أخته على باب بيننا وبينها ، وارتسمت علامات وجوم متدرجة على وجوه الأطفال بحسب أسنانهم وإدراكهم ، وبقي الأصغر يضحك وأنامه أضحك بدموع ، وأرشف من الكأس المرة !

ما ذا عسى الأب أن يقول لابنه الأكبر الباكي في مثل هذه الحالة ليصرف عنه البكاء ؟ أيقول له إن أمك مسافرة وسترجع إليك بحلوى ولعب ؟ لا يصدق ... أيقول له : سلم لله لأن الموت آخر الحياة ، وهو منجل يحصد الناهل والباهل ... وما إلى ذلك من « أجرومية » التعازي ؟ لا يفهم ذلك لأنه لم يبلغ مبلغ من تطفئه هذه الأفكار ... إذاً فالأولى أن يتركه حتى يذهب عنه وجدان الحزن فتجف دموعه وحدها

وشعرت كأن روح الأم حضرت البيت في ذاكرة الأطفال إزاء هذه الأزمة النفسية فبكى قلبي ، وتكلفت المبالغة في ملاعبة الأصغر حتى ألهيه عن أخيه وعن نفسي ، وجلست برهة ثم نهضت مثقلا ...

لو أننا نخدع في إدراك المصائب كما خدع الأصغر ، أو لو أننا ندركها باردة بسيطة كما أدركها الذي يليه ، أو لو أننا ندركها إدراك ذلك الأب الصبور الحمول العارف بقوانين الحياة ، لكان في هذا نجاة من وطأتها على نفوسنا . أما أن ندركها إدراك كبير هؤلاء الأطفال من غير علة ولا تَسِلَّة وعزاء ، فذلك أشد الألم ، لأنه ألم المصيبة وألم الحيرة في إدراك أسبابها وعلاجها . هذه كأس الحنظل ...

وأما الأخرى فقد تناولتها من يد الدنيا في عشية ذلك اليوم نفسه في عش يُبنى لفتى وفتاة ... والمدعوون جالسون كل منهم باش يرسل نكتة أو يضحك من نكتة ، وفرح الحياة يترقرق في الوجوه ترقرق الشراب في كؤوس بلورية

وكان على شفتيّ بقية من كأس الحنظل التي شربتها في الصباح فوجدت طعمها فيما قدم إلى من شراب العرس . وهنا أدركت أن دنياي شاعرة حاذقة، وأنها ابتدأت تصاحبني بصدق . وشربت كأس التفاح وأنا أجمجم بكلمات خفية كما يجمجم المجوس على الطعام ... وكانت هذه الكلمات قصائد وصلوات تلاها في حلقي ذلك المزيج الذي ذقت فيه خلاصة صنعة الدنيا الشاعرة .. والذي تحولت قطراته إلى كلماتها الآتية :

« إشرب ! إشرب ! ولا تخش السكر من هذه الكأس التي مزجتها لك بيدي ! فإن ما فيهـا من أضداد تصطرع ، كفيل بأن يترك عقلك دائماً في غاية الصحو ... إشرب ولا يحاول لسانك أن يميز بين عنصري هذا المزيج فيَتَبَلْبَل ولا يستطيع البيان ... إشرب وانظرني دائماً في قرارة الكأس متجسدة عارية لعينيك ...

إشرب واحتفظ بمذاق هـذا الشراب دائماً حتى تستطيع تقدير الطعوم الأخرى ...

إشرب واحذر أن تحدث من يحيطون بك في مجلس العرس

بما تجد فى كأسك فيقولوا عنك : « هذا سكران يهذى ... »

***

« طالما شربتَ من كأس الحنظل وحدها حتى سكرتَ بالألم فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وطالما شربت من كأس التفاح وحدها حتى سكرت من اللذة فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وقد تعودتم أن تضيفوا لفظة « السكر » إلى اللذة وحدها . ألا وإن للألم سكراً لا يقل شناعة وطيشاً وهذياناً وسفهاً عن سكر اللذة !

أنظروا إلى أبى العلاء المعرى ! إنه عندي لا يقل إثماً عن الأعمى الآخر بشار ، ولا عن أبى نواس !

لقد غرق المعرى فى كأس الألم وغرق الآخران فى كأس اللذة ففقدتهم جميعاً ...

لقد أتى المعرى بهذيان كثير جعله يخرج عن دائرة الحياة العاملة ويعيش جامداً على هامشي أنا الحركة الدائمة المنيفة المنتظمة، يرصدنى من بعد فى محبسه بعينيه المغلقتين ، ويلمسنى فى خشونة وجهه المجدور ، ويذوقنى فى طعامه المحدود ، ويستنشق أجوائى فى محبسه الضيق الخانق ، ويرانى عدماً وفقداً لأنه أنهى حبل النسل الذى تناهى إليه من آدم ... فهذى فى كثير ولم يميز بين كثير من حقائقى وأباطيلى وحلاوتى ومرارتى وأزهارى وأشواكى ، وكان الحرمان المطلق جذوة شعره وباعث سكره ...

ولقد أتى الآخران بالهذيان المعهود لكم من سكارى اللذة الآثمة ، وما زالا كذلك حتى ارتعشت يداهما وعجزتا عن حمل الكأس الفاتنة

رفع أبو العلاء الكأس طافحة بماء الحنظل لا يرى لها لوناً ولا يشم رائحة وليس له نديم . وقد طال وقوف الكأس على يديه حتى ساغت فى حلقه على مرارتها ، وشعشعها بالظلام الدائم الساكن فى عينيه . تمر به مواكب الحياة بجليلها وحقيرها وجميلها وقبيحها فيراها من سكره بآلامه ، جنازة موتي وكومات أنقاض ... برغوثها كشحاذها يستحق الاحسان والاطلاق ، وفروجها كشبلها يستحق الاجلال والخشية ، وحشراتها وبهائمها تستحق الحياة الدائمة كانسانها ...

أليس هذا هذياناً كهذيان أبى نواس حين يرفع كأسه طافحة بماء العنب مشعشعة بنطاف دجلة وسناء الضحى ونور البدر ، يصطبح ويغتبق ويعبث بحرمات الحياة فى شغل عن دنيا الآلام الرفيعة والأمجاد والوصاية على مقدرات الأمم حتى « تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق » كما قال هو !

بلى ! إنهما وجهان للسكر فى الحياة بإدمان الشراب ذي العنصر الواحد الذى يجعل المدمن ينظرني من جانب واحد »

***

كذلك كانت الدنيا تحدث نفسى فى مجلس بناء عش جديد بعد مجلسها فى العش المنهدم . ولم أشعر بأن نفسى بلغت من الفقه والحكمة إلى حد أن تأكل التفاح بشفتين عليهما مرارة الحنظل كما شعرت بها فى ذلك المجلس !

ولقد صحوت بعد ذلك من السكر المطلق بالألم كما صحوت من السكر المطلق باللذة . وسآخذ بوصية دنياي الصديقة الشاعرة لأظل دائماً يقظان صاحياً غير مخمور بنشوة ولا لوعة .

عبد المنعم خلاف

الطريقة العلميـــة

او القواعد الاربع للبحث والتفكير (١)

للفيلسوف الفرنسى الكبير رينيه ديكارت

بقلم السيد أحمد محمد عيتانى

« رينيه ديكارت أشهر من أن يعرف ، فهو أبو الفلسفة الحديثة ، وواضع أسسها ، وبانى كيانها . عاش فى القرن السابع عشر ، وألم بجميع فروع الفلسفة ، وترك لنا مؤلفات عديدة فيهـا ، كلها ذات قيمة فذة ، لما احتوت عليه من الحقائق العلمية ، والملاحظات الدقيقة ، والنظريات والآراء التى أحدثت هزة عنيفة فى عالم العلم والفلسفة ، فغيرت مجرى بحوثهما ، وحملتهما على الاتجاه فى اتجاه جديد كان نتيجة لها . من بين هذه المؤلفات التى وضعها ديكارت ، رسالة صغيرة ، بسط لنا فيها موجز تاريخ حياته العلمية ، وعرض الظروف والمناسبات التى ساعدته فى الوصول إلى طريقته العلمية الخاصة ، التى بنى عليها بحوثه العلمية والفلسفية ، وقد أسمى هذه الرسالة « رسالة الطريقة أو القاعدة » ووضعها باللغة الفرنسية ، فكانت أول مجهود فلسفى كتب بهذه اللغة ، وكان فى ذلك خروج على عادة الفلاسفة والعلماء الذين ألفوا أن يكتبوا أبحاثهم ويدرسوها باللغة اللاتينية ، ولهذا كان أسلوب المؤلف فى رسالته أسلوباً جامداً معقداً غامضاً فى بعض المواضع ، طويل الجمل ، كثير اللف والدوران ، يصعب فهمه لأول وهلة ، ولـكن هذا لم يضع من قيمة الرسالة ، ولم يمنعها من أن تـكون من أجل مؤلفات هذا الفيلسوف الـكبير خطراً وأبعدها أثراً ، لما اشتملت عليه من القواعد العلمية ، والنظرات الصائبة . وفيما يلى فصل من فصولها ، يصور لنا الظروف والمناسبات التى أحيط بها المؤلف قبيل وضعه قواعده الأربع التى صاغ فيها طريقته العلمية ، واتبعها فى قيادة عقله للبحث عن الحقيقة والعلم الصحيح »

« أحمد عيتانى »

كنت يومذاك فى ألمانيا (٢) . وقد دعتنى إليها مناسبة الحرب التى لم تـكن قد انتهت فيما بعد (٣) ؛ واتفق أنى بينما كنت عائداً من حفلة تتويج الامبراطور (٤) لألحق بالجيش ، أدركنى الشتاء ، وأوقفنى فى إحدى الثكنات العسكرية ، وهناك لم أجد ما ألهو به ، ولم يكن لدى من حسن حظى ما يشغل بالى من الشئون والأعمال ، فكنت أقضى سحابة نهارى ، منزوياً فى غرفتى ، حيث وجدت المجال الـكافى من الزمن لأستعرض أفكارى وأخلو بها

افضلية الاعمال المكونة من مجهود كثيرة متباينة

كان فى طليعة تلك الأفكار ما لاحظته من أن الأعمال المـكونة من أجزاء وأقسام كثيرة ، إذا اشتغلت فيها عدة أيام ، أصبحت وليس فيهـا من الروعة والابداع ما فى أشباهها من الأعمال الأخرى التى لم تمتد إليها سوى يد واحدة :

فالبناء الذى أشرف عليه وأنجزه مهندس واحـد أكثر جمالاً ونظاماً من سواه من الأبنية التى عمل فيها الـكثيرون ، والتى رممت مراراً ، وبنى على أسسها الهرمة أبنية لم تكن معدة لهـا .

وكذلك المدن القديمة التى أصبحت من الزمن مدناً كبيرة ، بعد أن كانت قرى وضياعاً ، فهى عادة فوضى فى بنائها ، إذا قيست بتلك المدن الحديثة التى وضع تصميمها مهنـدس واحد قبل المباشرة فى بنائها . ونحن لو نظرنا إلى أبنية تلك المدينة القديمة لوجدنا أن فيها ما لو أخذناه على حدة لما كان يقل فناً وروعة عن أبنية المدن الحديثة ، ولـكن نظرة واحدة تظهر لنا ما هى عليه من النظام والوضع : فهنا بناية كبيرة ، وإلى جانبها أخرى صغيرة ، وكلها تتحكم بالشوارع والطرق ، فتردها متعرجة : عريضة هنا ، ضيقة هناك .

وكذلك الشعوب المتوحشة سابقاً ، تلك الشعوب التى لم تتحضر إلاشيئاً فشيئاً مع مرور الزمن ؛ وبقدر ما كانت تدفعها إلى ذلك مغايرة الخصومة والنزاع للحياة فقد رأيت أن ليس بامكانها أن تضاهى بنظامهـا تلك الأمم الأخرى التى عرفت الحضارة منذ أقدم العصور ، فاجتمعت كلمتها وأجمعت على اتباع دستور واحد يضعه لها مشرع حكيم .

وكان فى حكم الثابت لدى أن حكومة الدين الحق ، هى مطلقاً وبدون منازع ، خير الحـكومات نظاماً ، لأنها من صنع الله تعالى وحده . ولم لا نقصر كلامنا على الأمور البشرية ؟ فأنا أعتقد أن مدينة اسبرطة إذا كانت قد ازدهرت قديماً فليس

---

(١) عما قريب تظهر الترجمة الـكاملة لهذه الرسالة ، مصدرة ببحث مستفيض عن حياة ديكارت ومؤلفاته العلمية والفلسفية ، وموجز لآرائه ونظرياته المختلفة ، فى كتاب اسمه « ديكارت وقواعده العلمية »

(٢) انخرط ديكارت فى سلك الجيش الهولاندى فى سنة ١٦١٧ — ١٦١٩ واشترك معه فى حروب كثيرة ، مدفوعاً إلى ذلك بحب الاطلاع على مختلف نواحى الحياة والالمام بسائر وجوهها .

(٣) يشير إلى الحرب التى حدثت فى بافيار ، إحدى المقاطعات الألمانية ، فى نوفمبر ١٦١٩ .

(٤) هو فرديناند الثانى ملك بوهيميا وهنغاريا ، وقد توج أمبراطوراً فى فرانكوفرت فى ٢٨ يونيه ١٦١٩

ازدهارها عائداً إلى أن كل قانون من قوانينها كان صالحاً في ذاته، فلقد كان في قوانينها شيء كثير مما هو غريب ومغاير للحق القديم ، وإنما ازدهارها عائد إلى أنها اتبعت تشريعاً واحداً ، وضعه شخص واحد ، كان يرمى في جملته إلى غاية واحدة .

ورأيت أيضاً أن ما تشتمل عليه الكتب والمؤلفات من علوم ونظريات، إنما تكوّن من آراء كثير من الأشخاص المختلفين ، شيئاً فشيئاً . لذلك لم يكن — أو على الأقل تلك العلوم التي لا تملك سوى أسباب تقريبية والتي لا يقوم عليها دليل ولا برهان — أقرب إلى الحقيقة ، من ذلك التفكير البسيط الذي يقوم به شخص عادي ذو عقل سليم في بعض ما يعرض له من الأشياء .

هذا وقد بدا لى أيضاً أننا وقد كنا جميعاً أطفالاً ، قبل أن نكون رجالاً ، وأننا مكثنا زمناً طويلاً تحت سلطان أساتذتنا وسيطرة ميولنا ، وهما ضدان ، كلاهما لا يمحضنا النصح ولا يهدينا سواء السبيل ، فمن المستحيل تقريباً أن نكوّن لأنفسنا أحكاماً نزيهة ثابتة ، كما كان شأننا لو وسعنا استعمال تفكيرنا منذ ميلادنا دون أن نركن لقيادة سواه(1)

صعوبة الإصلاح العام

نعم ، إننا لم نر أبداً من يدمر منازل مدينة ما لمجرد الرغبة في تجديدها وتجميل طرقها وشوارعها ، ولكننا نرى كثيراً من الناس يهدمون بيوتهم بأيديهم ليعيدوا بناءها ثانية، وربما وجدوا أنفسهم أحياناً مرغمين على القيام بهذا العمل، حين يشعرون أنهم في خطر، وأن بيوتهم هذه ذات أسس واهية فهي تكاد تنقض على رؤوسهم. وعلى هذا فأنا موقن بأن ليس هناك إنسان واحد يحاول إصلاح دولة ما بقلبها رأساً على عقب ، أو بتدميرها وبنائها ثانية ؛ كما أنى موقن أن ليس هناك شخص واحد يحاول إصلاح الهيكل العلمى أو نظام تدريسه السائد في المعاهد كلها

إمكان الإصلاح الخاص

أما آرائى وأفكارى التى تسربت إلى نفسى فلا أرى أفضل من نزعها عنى تماماً لأعيد غيرها ، أو أعيدها نفسها ثانية ، أو أعيد قسما منها بعد أن أحكم عقلي فيها ، وبهذه الوسيلة أستطيع أن أنجح في حياتي نجاحاً أعظم مما لو بنيت على أسس خاطئة ، أو استندت إلى مبادئ تلقنتها أثناء صباى ، واعتقدت بها دون أن أمحص حقيقتها . ولقد شعرت أن عملى هذا لا يخلو من صعوبات جمة ، إلا أنها صعوبات يمكن تذليلها ، وهى لا تماثل تلك الصعوبات التى يجدها المرء في إصلاح أيسر الأمور التى تمس المجتمع : فالأجسام الضخمة هذه ، إذا هدمت فهى صعبة البناء ، وإذا هزت فهى صعبة الامساك ، وإن سقوطها لا بد أن يكون قاسياً

أثر العادة في الشئون العامة

هذا ، ولو كانت هناك مساوئ في بعض شؤون المجتمع ، وهى مساوئ لا بد من وجودها ، ينم عليها ما بين شؤون المجتمع وأموره من تباين وتناقض ، فالعادة ولا شك قد لطفت كثيراً من حدتها ، وأصلحت الشيء الكثير منها ، وجعلتنا نتحاشى منها ما لم يكن في الإمكان تحاشيه بمهارتنا . أضف إلى ذلك أن احتمال هذه الأمور — على ما فيها من مساوئ — أيسر من تغييرها . وما مثل ذلك إلا مثل الطرق التى تسير بين منعطفات الجبال ، فهى تصبح مع الزمن طرقاً منبسطة ملائمة للسير من كثرة ارتيادها ، ويكون أيسر على المرء أن يسلكها من أن يحاول السير في خط مستقيم ، متسلقاً النجاد وهابطاً الوهاد

غاية ديكارت في رسالته

لذلك لا أستطيع مطلقاً أن أفهم تلك الطائفة من الناس ذات الأمزجة الثائرة ، والعقول الحائرة ؛ تلك الطائفة التى لا تنفك تفكر في أن تدخل على شئون المجتمع شيئاً من التقويم والتعديل ، وذلك رغماً عن أن ليس لها من المكانة والجاه ما يؤهلها لذلك . ولو أنى رأيت في رسالتى هذه ما يبعث على اتهامي بهذا الضرب من الجنون لكنت جد آسف ، ولأحجمت عن نشرها ، لأن غايتى منها لم تتعد مطلقاً ما أريده من إصلاح آرائى الشخصية ، لأبنى فيها بعد على أسس هى ملك لى كلها . وإذا أخرجت إلى الناس هذا النموذج من عملى ، وقد راقنى بعض الشيء ، فليس معنى ذلك أنى أدعوهم للضرب على وتيرتى ، لا ! فأنا أخشى اجتراء الكثيرين على ذلك ، فإن إرادة النفس على

(1) وذلك لأن ميولنا ذات صبغة ذاتية ، ولأن أساتذتنا يحاولون نقل آراء غيرهم إلينا أو نقل آرائهم التى اقتنعوا بها وتبنوها دون غيرها

التجرد من جميع ما اكتسبته قديماً من الآراء ، لا يجب أن يكون مثالا يحتذيه كل إنسان . ذلك لأن العالم يشتمل على نوعين من العقول البشرية ، وكلاهما لا يصلح له هذا العمل أو هذا المثال

فالنوع الأول هو تلك العقول التي تقدر ذاتها أكثر مما هي حقيقة ، فلا تتمالك من أن تتسرع في أحكامها ، ولا تجد من الصبر ما يكفي لأن تقود تفكيرها بانتظام . ومن هنا ينتج أنها إذا منحت نفسها حرية الشك فيما تلقنته من المبادئ ، وحادت عن الجادة العامة ، ولو مرة واحدة ، لم تعد تستطيع أبداً الاهتداء إلى الطريق التي يجب أخذها للسير في طريق قويم ، فتبقى تائهة طيلة حياتها

والنوع الآخر هو تلك العقول التي لها من التواضع وبعد النظر ما يحملها على أن ترى ذاتها أقل قدرة على تمييز الخطأ والصواب من بعض عقول أخرى ، فهي ترى إمكان التتلمذ على هذه العقول ، وهي ترى واجباً اتباع آرائها دون أن تكلف نفسها عناية البحث عما هو خير منها

أما أنا فلقد كنت ولا شك في عداد تلك الطائفة الأخيرة ، لو لم أتتلمذ على أكثر من أستاذ واحد ، ولو لم أطلع على ما بين آراء الفلاسفة من تباين وتناقض ، في كل عصر وزمن ، فلقد لمست منذ أيام الدراسة أن ليس هناك ما يمكن أن يتصوره العقل مما يدعو إلى الدهشة ويجل عن التصديق إلا ويكون قد أثر عن الفلاسفة وعزى إليهم

العرف والمعرفة الصحيحة

ولمست وأنا أتجول وأتنقل أن جميع أولئك الذين تتضارب أخلاقهم وعاداتهم مع أخلاقنا وعاداتنا ليسوا برابرة ولا همجاً لمجرد هذا التضارب ، بل إن فيهم كثيرين ممن يعقلون مثلما نعقل أو أكثر مما نعقل . ولاحظت كم يكون الشخص الواحد ذو العقل الواحد إذا نشأ في وسط إنكليزي أو فرنسي مختلفاً عن نفسه ، فيما لو نشأ في وسط صيني أو هندي . بل وجدت أن الزي الواحد من أزيائنا الذي كان يروقنا منذ عشر سنين ، والذي ربما راقنا بعد عشر سنين أيضاً ، قد يبدو لنا الآن غريباً مزرياً . وهكذا يتدخل العرف وتتدخل العادة لاقناعنا أيضاً أن ليس هناك معرفة أكيدة صحيحة

القواعد الأربع

إذاً فلم يكن في مقدوري اختيار شخص يبدو لي في آرائه ما يدعوني إلى إيثارها على آراء سواه ، وبدا ألفيتني مرغماً على أن أقود نفسي بنفسي ، ولكني عزمت على أن أسير متمهلاً كمن يسير وحده في الظلام ، وأن أتفطن إلى كل شيء بحيث لو لم أتقدم إلا ببطء احترست على الأقل من الزلل . وقد أبيت المباشرة بنزع أية فكرة من الأفكار التي تسربت إلى نفسي عن غير طريق العقل قبل أن قضيت زمناً طويلاً في تهيئة خطة العمل الذي حملت نفسي عليه ، والبحث عن الطريقة القويمة التي توصلني إلى كل ما يستطيعه عقلي

كنت درست في صباي بين فروع الفلسفة شيئاً من المنطق ، ودرست بين الرياضيات الجبر والتحليل الهندسي ، وهي ثلاثة علوم أو فنون كان ضرورياً أن أجد فيها شيئاً مما شرعت في البحث عنه ، ولكني عند فحصها وجدت أن قضايا المنطق ومعظم تعاليمه تستعمل لبيان ما يعرفه الناس لا لتعليمهم ما يجهلون ، أو هي كفن لول[1] تستعمل للتحدث دون ما تفكير فيما نجهله من الأشياء ، وأنها وإن اشتملت على كثير من القواعد الصحيحة القيمة ، فهي جامعة أيضاً لكثير من القواعد الزائدة أو الضارة ، وهذه يصعب فصلها عن تلك كما يصعب إخراج تمثال للالهة ديانا أو الالهة مينرفا من قطعة من المرمر لم تقطع بعد . أما التحليل الهندسي القديم والجبر المحدث فهما لا يتناولان سوى معنويات ليس لها أية فائدة واضحة . فالتحليل الهندسي يقتصر على النظر إلى الأشكال الهندسية ، ولا يجلوها إلا إجهاد الخيال إجهاداً عظيماً . والجبر مستمسك بقواعد وأرقام جعلته فناً غامضاً مهوشاً يشوش العقل بدلا من أن يغذيه

كل هذا حدا بي إلى التفكير في وجوب البحث عن قاعدة تضم محاسن قواعد هذه الفنون الثلاثة وتكون بمنجى عن شوائبها ؛ إلا أني رأيت أن كثرة القواعد والقوانين وتعدادها يسببان عادة مساوئها ، بحيث أن الدولة ذات العدد القليل من النظم والقوانين تكون أكثر نظاماً وقوانينها أدق رعاية ، ولهذا رأيت

(١) كاهن فرنسي وضع فنا سماه باسمه يساعد على الاستنتاج الآلي الذي لا يستند إلى أي تفكير

أن أكتفى بالقواعد الأربع الآتية على أن أوطد النية والعزم على ألا أخرج عنها فى حياتى أبداً

١ — طريقة الوضوح

فالقاعدة الأولى هى : ألا أنظر إلى أى شيء بعين الحقيقة إلا بعد أن أدرك أنه كذلك . ومعنى هـذا أنى أتلافى التسرع والتنبؤ ، ولا أتبنى من الآراء إلا ما تجلى لعقلى بوضوح وسرعة يحولان دون الشك فيه

٢ — طريقة التحليل

والقاعدة الثانية هي : تجزئة كل مشكلة من المشاكل التى أقوم بدراستها إلى أكبر عدد من الأجزاء يمكن ويجب أن تنقسم إليه ، وذلك للتمكن من حلها على أصلح وجه

٣ — طريقة التدرج

والقاعدة الثالثة هى: تسيير تفكيرى بانتظام ، فأبدأ بأبسط الأمور، وأسهلها فهماً وأصعد تدريجاً لمعرفة أكثرها تعقيداً مع افتراض وجود النظام أيضاً بين الأمور التى لايتعلق بعضها ببعض

٤ — طريقة الإعادة والاستقصاء

أما القاعدة الرابعة والأخيرة فهى : القيام باحصاءات تامة ، فى كل لحظة، والقيام باعادات عامة، لأتأكد من أنى لم أهمل شيئاً

أحمد محمد عيتانى

عضو بعثة جمعية المقاصد فى معهد التربية

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٧ —

مقالاته للرسالة (٨)

هلّ هلال المحرم ، وتهيأت الرسالة لاصدار (العدد الممتاز) فى ذكرى الهجرة ، فكتبتُ إلى الرافعى فيمن كتبت من أسرة الرسالة ، تطلب إليه أن يهيئ موضوعاً مناسباً لذكرى الهجرة ، وضربت له أجلا . واستبق الرافعى الميعاد فأعدّ قصة «اليمامتان» وبعث بها إلى الرسالة قبل موعد العدد الممتاز بأكثر من أسبوع. وحسبت الرسالة أنه بعث إليها بمقاله الأسبوعى المعتاد ، وأنه ما يزال يعدّ موضوعه للعدد الممتاز ، فنشرت قصة اليمامتين قبل موعدها ، وكتبت إليه تستنجزه المقال الثانى . وكان الرافعى متعب الأعصاب ، يشكو وجعاً فى أضراسه يثقل رأسه ، وقد غاظه أن الرسالة فوّتت عليه الفرصة فسبقت إلى نشر القصة التى أعدها للعدد الممتاز قبل موعدها وتركته فى حيرته ، ولم يجد فى نفسه خفة إلى العمل ، فذهب إلى أوراقه القديمة يفتش بينها عن موضوع خليق بالنشر فى هذه المناسبة ، فوقع على مقالة «حقيقة المسلم» ، وكان كتبها قبل ذلك بسنتين إجابة لدعوة جمعية الكشاف المسلم لشام ، ونشرها بالأهرام فى ذكرى المولد النبوى لسنة ١٣٥٢ هـ فبعث بهـا إلى الرسالة لتنشر فى العدد الممتاز لسنة ١٣٥٤ هـ

يتحدث الرافعي فى قصـة اليمامتين عن الفتح الاسلامى ، وأخلاق العرب ، وتعريب مصر الفرعونية الرومانية ، وفتنـة القبط بسجايا العرب ومزايا الاسلام ؛ وفيها إلى ذلك حديث عجيب عن الحب والمرأة فى قصـة خيالية افتعلها الرافعى ليبلغ بها ما فى نفسه من معانى الحب ؛ ثم جعل فى خاتمتها « نشيد اليمامة »

اليمامة التي تقول الرواية العربية إنها تحرّمت في جوار عمرو ابن العاص فمنعته أن يقوّض فسطاطه !

كان لهذه القصة عند الرافعي وعند قراء الرسالة عامة موقع لم تبلغه قصة سعيد بن المسيب . وقد افتتن بها كثير من القراء ، حتى كان منها أن اهتدى إلى الاسلام أستاذ مسيحي من أساتذة التاريخ في بلاد الجزائر ، فكتب إلى الرافعي رسالة يعلن فيها إليه إسلامه ، ويسأله الوسيلة إلى دراسة هذا الدين والتفقه فيه . ولم أعثر بعد على هـذه الرسالة بين ما خلّف الرافعي من رسائل أصدقائه إليه

ومن اعتداد الرافعي بهذه القصة وبما بلغ فيها من التوفيق ، جعلها فاتحة كتابه « وحى القلم »

***

ولم يكفه أسبوع للاستجمام والخلاص مما يعاني من وجع الضرس وتعب الأعصاب ، فاستراح أسبوعاً آخر وبعث إلى الرسالة بالجزء الثالث من « كلمة وكليمة »

ثم وقعت حادثة اهتزت لها نفس الرافعي اهتزازاً عنيفاً ونقلته من حال إلى حال ...

جلست يوماً إليه نتحدث من أحاديثنا ، فقال : « ... إن صديقنا الأستاذ . م . لم يكتب إلينا من زمان .. ليت شعرى ما منعه عنا . إن بي قلقاً عليه وفي نفسي أن أراه أو أعرف من خبره ! »

وفي صبيحة اليوم التالي طالعتنا الأهرام بخبر غامض : « .. أن شابا من الأدباء ، هو ابن شيخ كبير من شيوخ الأزهر ، قد حاول الانتحار بقطع شريان في يده ! »

وقرأ الرافعي الخبر فاربدّ وجهه وانفعلت نفسه ، وقال : « اقرأ ، إنه هو ... ! »

قلت : « من تعني ؟ »

قال : « صديقنا الأستاذ . م ، لقد غلبه شيطانه على دينه آخرة أمره . غفر الله له ! »

فجزعتُ وطارت نفسي ، وقلت له وأكاد أغصّ بريقي : « م ؟ إنك لتتوهم ، وإنك مما تفكر في شأنه ليُخيل إليك . إن لصديقنا لديناً ، وإن فيه لتحرُّجا وخشية ؛ وما أراه في أي أحواله يقدم على هذه الجريمة ! »

ولكن الرافعي لم يلتفت إلى ما أقول ، وأخذ يحوقل ويسترجع ويستعيذ بالله من غلبة الهوى وفتنة الشيطان . ثم مد يده إلى مكتبه فكتب رسالة إلى م يسأل عن حاله وخبره ويرجو له العافية في دينه ودنياه ؛ ثم يطلب إليه أن يصف له ما كان منه وما حمله عليه وما آل إليه أمره ؛ ولم ينس مع كل أولئك ومع ما تفيض به نفسه من الحزن والألم أن يرجوه « الدقة في وصف المرحلة التي كان فيها بين الحياة والموت ؛ فانها المرحلة التي لا يحسن أن يصفها إلا من أحسّ بها ... »

وصديقنا الأستاذ . م . أديب واسع المعرفة ، له دين ومروءة ، وفيه تحرج وخشية ؛ وقد نشأ في بيت له ماض في الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه والذّود عن حرماته ؛ وهو شاب عزب ، بعيد الخيال ، دقيق الحس ، مرهف الأعصاب ؛ وعلى أنه يعيش في ظل وارف ونعمة سابغة ، فانه من سعة خياله ودقة حسه وحدة أعصابه متشائم النظرة ، لا تراه إلا رأيت في وجهه وعلى طرف لسانه معنى دفينا من معاني الألم ؛ وما يرى نفسه في أكثر أحواله إلا غريبا في هذا العالم وبين هذا الناس ؛ فان له من خياله دنيا غيرَ دنيا الناس ، وعالماً غير هذا العالم ، يتمثل فيه المثل الأعلى الذي أعياه أن يبلغه على هـذه الأرض . وكان بينه وبين الرافعي ودّ وله في نفسه مكان ؛ فكان له سره ونجواه منذ كان فتى يافعاً لم يبلغ العشرين . وكان الرافعي يعتد بصداقته ويقرّ إليه ويعجب بدينه وتقواه ويتوقع له مستقبلا مجيدا بين المجاهدين من أهل الأدب ودعاة الاسلام .

فلما بلغ الرافعي نبأ شروعه في الانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه ، وناله من الهم ما لم ينله لحادثة مما لقي من دنياه . فمن أجل هذه الحادثة أنشأ الرافعي مقالات « الانتحار »

ولم يكن الرافعي يعلم من أحوال صاحبنا ما دفعه إلى هـذه المحاولة الطائشة ؛ فأخذ يتكهن وينتحل الأسباب ليبني عليها الحديث والقصة ؛ فما جاء جواب الأستاذ (م) إلا بعد المقالة الثالثة ، فأخذ من هذا الجواب مادة الجزء الرابع من هذه المقالات ، وجعل الحديث في هذا الجزء على لسان « أبي محمد البصري » وهو يعني الأستاذ (م) ، فهو هو وكلامه كلامه في جملته ومعناه ، لم يغير منه الرافعي إلا قليلاً من قليل . فما يدل على

حالة صاحبنا إلا المقالة الرابعة من هذه المقالات الست . أما ما عداها مما سبق أو لحق ، فهي قصص مفتعلة من وحي هذه الحادثة في نفس الرافعي

ومقالات الرافعي في « الانتحار » هي باب من الأدب لم ينسج على منواله في العربية من قبل ؛ فيها فنه القصصي ، وفيها روح المؤمن الذي لم تفتنه دنياه عن ربه ؛ وفيها إلى ذلك شعر وفلسفة وحكمة ، وقلب رجل يعيش في حقيقة الحياة

***

وكان بين الرافعي والأستاذ حسن مظهر محرر اللطائف المصورة مودة . فلما تولى تحرير اللطائف كتب إلى الرافعي يرجوه أن يكتب فصلاً لقراء اللطائف عن « سحر المرأة » ؛ فكتب فصلاً بديعاً يصف فيه نفسه وصاحبته (فلانة) في أول لقاء بينهما

فلما فرغ من مقالات « الانتحار » تناول هذا الفصل فزاد فيه ما زاد وبعث به إلى الرسالة بعنوان « ورقة ورد » لأنه سار فيه على نهج كتابه المعروف « أوراق الورد » فهذا الفصل عنده هو من تمام هذا الكتاب

***

وكان من زملاء الرافعي في محكمة طنطا الأديب فؤاد ... وهو شاب له ولوع بالأدب ؛ وعلى أنه زوج وأب ، فإنه كان بأناقته ولباقته مرعى أنظار كثير من الفتيات ، وكان له في الغرام جولان ...

ثم فاء إلى نفسه بعد حين ، فانصرف عن اللهو والغزل إلى شئون أسرته وولده ؛ وراح ينشر بعض مغامراته الغرامية في إحدى الصحف الصغيرة التي تصدر في طنطا ...

وقرأ الرافعي بعض ما ينشر صاحبنا ، فرأى « علماً جديداً » لم يدخل إليه من باب ولم يقرأه في كتاب ؛ فأرسل يستدعي صاحب هذه المقالات إليه ليفيد علماً من علمه ومن تجاربه ... !

وجلس صاحبنا يتحدث إلى الرافعي ويقص عليه ، والرافعي صاغ إليه ملذوذ بما يسمع ؛ فما انتهى صاحبنا من حديثه حتى كان على موعد مع الرافعي أن يحضر له طائفة من مذكراته ورسائل صواحبه ، لعله يجد فيها موضوعاً يكتبه لقراء الرسالة

فمن هذه المذكرات ومن هذه الرسائل استملى الرافعي مقالات « الطائشة » و« دموع من رسائل الطائشة » و« فلسفة الطائشة » ...

فهذه القصة حقيقية لا افتعال فيها ، وليس فيها شيء من صنع الخيال ؛ وما حكى الرافعي من رسائل الطائشة هو من رسائلها نفسها كما نقلها إليه صاحبها ؛ وفلسفتها هي فلسفتها كما فهمها الرافعي من رسائلها ومما كان من أمرها مع صاحبها

لقد نال الرافعي من ملامة الفتيات ما ناله بسبب هذه المقالات، وقرأها أكثر من قرأها منهن على أنها قصة من الخيال اخترعها الرافعي ليحتج بها فيما يحتجّ لمذهبه في الحب والمرأة وتجديد الأخلاق . والحقيقة فيها هي ما قدّمت ؛ وقد زاد الرافعي إيماناً بمذهبه بعد هذا الذي سمع من صاحبه وقرأ من مذكراته ومن رسائله !

ولم يكتب الرافعي قصة « الطائشة » على أنها قصة ؛ إذ كان صاحبها قد كتب قصتها على طريقة من فنه ؛ فآثر الرافعي أن يتناولها من أطرافها ليحكم بها حكمه ويتحدث عن رأيه في طائفة من فتيات العصر ؛ فترك صلب القصة ليكون حديثه عن التعليق والحاشية

وقد قرأت القصة مع الرافعي كما أنشأها كاتبها ؛ فكان الرافعي يقف عند كثير من عباراتها موقفاً بين الإعجاب والدهشة ؛ إذ كان مؤلفها يكتب ما في نفسه كما هو في نفسه ، فكان فيها وحي عاطفته ونبض قلبه ويقظة روحه ، فجاء بأدق ما في الفن وأبلغ ما في التعبير غير قاصد إلى شيء من ذلك ، وما كان يبلغ شيئاً من ذلك لو أنه قصد إليه ؛ إذ لم يكن هو بين أهل البيان في هذه المنزلة ، ولكنه كان من أهل الحب ؛ وكان هذا هو دليل (الصدق) عند الرافعي فيما كتب صاحبه وما نقل إليه من قصة صاحبته ...

ولما كتب المقالة الثالثة « دموع من رسائل الطائشة » خلا إلى نفسه أسبوعاً ليستجم ، وبعث إلى الرسالة بالجزء الرابع من : « كلمة وكليمة » وفيها حديث عن العقاد[1]

وفي هذا الأسبوع كان الرافعي يجمع خواطره حول ما سمع من قصة الطائشة ، فأنشأ مقاله الرابع بعنوان «فلسفة الطائشة»

(١) العدد ١٠٥ سنة ١٩٣٥

ثم أملى عليّ مقالة « كفر الدبابة » يعني بها الحكومة التركية لبعض ما ذهبت إليه في شئون الاسلام والعربية . وهي آخر ما أنشأ من الفصول على أسلوب كليلة ودمنة

وكانت مقالة « كفر الدبابة » هي آخر ما أملى على من المقالات ؛ وذلك في صيف سنة ١٩٣٥ . ثم تهيأ للسفر إلى مصيفه في « سيدي بشر » ، وتهيأت للسفر إلى القاهرة لبعض شئون العمل المدرسي . وانتقلت بعدها إلى القاهرة فكانت فيها إقامتي ، فلم أكن ألقاه أو يلقاني إلا ساعات كل أسبوع : فأسبوعاً أزوره في طنطا ، وأسبوعاً يزورني في القاهرة . على أن الرسائل فيما بين ذلك لم تنقطع بيننا حتى يناير سنة ١٩٣٧ ، قبل موته ببضعة أشهر . ثم تجافينا لشأن ما ، فما التقينا إلا مرة واحدة قبل موته بشهرين ، فكان لنا مجلس في قهوة « بول نور » بالقاهرة مع الأصدقاء : شاكر ، وزكي مبارك ، وكامل حبيب ، وزيادة ؛ ثم افترقنا بعد منتصف الليل وفي نفسي منه شيء وفي نفسه مني ...

وفي صبيحة الغد بدأت المعركة الأخيرة بينه وبين الدكتور زكي مبارك حول « وحي القلم »

... ومضى شهران بعد تلك الليلة لا ألقاه ولا يلقاني ؛ وهو يشكوني إلى صحابتي وأشكوه ؛ حتى جاءني نعيه ... غفر الله لي !

لكأنما كانت هذه القطيعة بيننا وقد دنا أجله ، لتخفف عني وقع المصاب من بعد ؛ أو لتحملني — غير محمول من أحد غير واجبي — على كفارة الذنب الذي أذنبت بهذه القطيعة ؛ فأبذل ما في الطاقة من الجهد الجاهد لكتابة هذا التاريخ فأقوم له بعد موته بالحق الذي عجزت عن وفائه في حياته . يرحمه الله !

* * *

... لم يملِ عليّ الرافعي شيئاً بعد مقالة كفر الدبابة ؛ ولكنه طلب إليّ أن أنسخ له صورة من مقال كان نشره في المقتطف قبل ذلك بسنوات عنوانه « سر النبوغ في الأدب »

فلما سافر إلى مصيفه بعث إلى الرسالة بمقالة « كلمات عن حافظ » لمناسبة ذكراه ؛ ثم أصابته قُرحة في كفه منعته من العمل ، فأخذ مقالة « سر النبوغ في الأدب » فجعل عنوانها « الأدب والأديب » ثم جعلها مقالة الأسبوع التالي . وهي مقالة من مقالات الرافعي الفريدة ، تهم الباحث الذي يريد أن يدرس الرافعي صاحب « تاريخ آداب العرب »

ثم توالت مقالات الرافعي يمليها على نفسه ويكتبها بخطه ؛ على أني بما كنت ألقاه وبما كان بيني وبينه من الرسائل إلى ما قبل موته بأشهر ، لم يفتني أن أعرف دوافعه إلى كثير مما كتب بعد ذلك من المقالات لقراء الرسالة ؛ فسأحرص ـ تماماً لهذا البحث ـ على أن أذكر ما أعرف من دوافع بعض المقالات التي أنشأها وحدها من بعد غير معتبر ترتيبها في النشر ، إذ لا عماد لي فيما أكتب عنها إلا الذاكرة .

« سيدي بشر » محمد سعيد العريان

التشريع المصرى والتشريع الاسلامى

للأستاذ عباس طه

سجل العلامة الكبير المستشار عبد السلام ذهنى بك فى بعض المجلات العلمية بحثاً مستفيضاً ضافى الذيول والمرامى يتلخص فى ضرورة تجميع الفقه الاسلامى فى مختلف ما تكشفت عنه قرائح الأئمة المجتهدين ونحا نحوه الفقهاء من الأحرار الباحثين، ثم مقارنة مستفيضة بين الفقه الرومانى وأثره فى بضعة قرون ووفائه بحاجة المعاصرين يومئذ ونهوضه إلى مستوى سد حاجة الناس فى باب المعاملات والأحوال الشخصية، ثم كيف استطاع أن يكون أثره فى الخلود طويلاً ووفاؤه بحاجة الناس عاما، ثم بضرورة وضع موسوعة تتسع لآراء الباحثين من الأئمة المشترعين كما فعل فى عهد جستنيان الخ

ونحن العلماء فى الفقه الاسلامى نحمد لمزته تلك الألمعية وغيرته الفياضة على تراث المسلمين أن يذهب بدداً وأن تتحكم فى أساليبه ومراميه وصياغته فئة من غير الناطقين بالضاد حتى أحالته تراثاً مهلهلاً لا يشفى علة ولا ينقع غلة . وبقى ذلك الداء العياء يتغلغل فى أزهى عصور التاريخ وأغنى عهوده بالعلماء، فما انفرجت شفتان عن ضرورة تجميع هذا التراث الموروث عن أئمة الدين الذين أخرجوا إلى الانسانية خير ما يقتدى به الناس فى أمر معاشهم ومعادهم، وما يحكم حركة التعاون بين أفراد النوع الانسانى ويقيمها على أسس من الخير صالحة لا يتطرق إليها وهن ولا فساد

لكنى أسائل أولئك الذين يكتبون حول هذه الموضوعات : ماذا يريدون بهذا التجميع ؟ أيريدون بذلك أن تجمع أقوال الفقهاء المشترعين والأئمة المجتهدين فى سفر واحد تراثاً مزيجاً من الآراء الفقهية بين رجل اجتهد وكد لينشئ له مذهباً ثم عاد فرجع عنه أو بقى ولكنه على وهن ، وذلك شائع فى مذهب الامام مالك وأبى حنيفة ، فنى هذين المذهبين أئمة اشتغل علماء الفقه الاسلامى بالتعقيب على آرائهم الفقهية فباتت غير صالحة لاستهداء الناس بها والسير على مناهجها — وبين آخر صح اجتهاده ، وقام على منارة الحق سداده ، ولكنه ابتلى بفريق من المتنقين لمذهبه اشتغلوا بتجريح غيره من المذاهب والاشادة بمذهبه دون سواه ، فبقى طلاب الحقيقة فى قطع من الليل البهيم يتلمسون لهم ما يكشف الحقيقة فى صميمها ويرد الواقع إلى نصابه ؟ أم يريدون أن يجمع الصحيح من أقوال الأئمة المجتهدين فى موسوعة واحدة يعم نفعها وتنتشر فائدتها ؟ وإذا فما قيمة هذا التجميع فى نظر الواقع والتاريخ والعلم ؟

لقد بذل المرحوم محمد قدرى باشا مجهودا لا بأس به فى تجميع شطر غير قليل من مذهب أبى حنيفة مما لم يقم به العلماء المتخصصون منذ عهد الناس بمنشأ الفقه الاسلامى فاستنبط مجهوده من كتب صيغت بأساليب رث حبلها ونقضت اشلاؤها ودق على الباحثين وجه الصواب فيها ، وكان العمل يومئذ بمذهب أبى حنيفة دون سواه مما جعل قدرى باشا يضع فى باب الأحوال الشخصية والوقف بنوعيه كتابيه على صورة مواد حتى يكون قانونا يسهل الرجوع إليه والاستشهاد به .

لكن ما أسرع أن تمخضت حيل الناس فى تطبيق مواد الطلاق ومواد النفقة وافتنانهم فى الهرب من تطبيق الأحكام الشرعية على مذهب أبى حنيفة عن عجز القضاة الشرعيين وعدم قدرتهم على تطبيق تلك الأحكام تلقاء ما يبديه المطلق من أفانين وحيل للفرار من طائلة العقاب ، وما يبديه المحكوم عليه بالنفقة وما يبدو من حيل المحامين الشرعيين فى ذلك الميدان المنبسط الذى لا يحده تقنين ولا يردع عن العبث به رادع، فجار القضاة الشرعيون بالشكوى من فشل هذه التجربة ، والأستاذ المراغى يومئذ منهم فى الطليعة يشاطره قوم ذوو دراية وكفاية؛ وقد شمروا بضرورة البحث فى غير مذهب أبى حنيفة من المذاهب عما يسد حاجة المتقاضين ويفسح المجال للقضاة باعتبارهم المطبقين لأحكام الشريعة والمهيمنين على تنفيذها فى مواد الأحوال الشخصية نائبين فى ذلك كله عن ولى الأمر فى البلاد ، وما يقطع الطريق على حيل المحتالين ، وما يفتح عيون الباحثين على ثروة غزيرة من العلم كانت ولا تزال منهلا ينهل منه المتقاضون وغير المتقاضين ، وما يقوم دليلا فى كل يوم على أن الفقه الاسلامى كفيل بمسايرة كل عصر وجيل

وخليق بأن يحمل أمانة البشر فى مختلف مرافقه حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ فوضع قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ خاصا بأحكام النفقة وبعض مسائل الأحوال الشخصية مؤلفا من ثلاث عشرة مادة، وهو يتناول معالجة الأحوال التالية.

(١) النفقة (٢) العجز عنها وما يترتب على ذلك العجز من الآثار (٣) حكم المفقود وما يترتب عليه قبل الخصوم من حقوق (٤) حكم القاضى بالتفريق للعيب وما يترتب على ذلك العيب من آثار مباشرة وغير مباشرة (٥) الترخيص للزوجة بطلب التفريق من القاضى حال قيام العيب فى زوجها وحاجة المجتمع إليه (٦) أحكام عامة متفرقة . ثم درجت المحاكم على تطبيق ذلك القانون بأمانة وتوفيق ، ودرج المفتشون القضائيون فى وزارة الحقانية على تتبع تطبيق هذا القانون وتبين المدى الذى وصل إليه من إصابة حاجات الجمهور وسد كفايتهم وإقناعهم بأن فى ثنايا الفقه الاسلامى ما يكفل بعث الطمأنينة إلى قلوبهم وإيصال الحقوق إلى ذويها، فلم تمض فترة من الوقت غير طويلة حتى استفاضت تقارير المفتشين القضائيين بأعطر الثناء على ذلك الأثر الطيب الذى تركه قانون سنة ١٩٢٠ فى نفوس المتقاضين

وهكذا تحررت عقول طلاب الاصلاح من ربقة التقيد بكل قديم واقتنعوا بأن تطور الحياة وتشعب مسالكها وما يجد فيها من أحداث وعبر من أقوى الحوافز على تلمس أفضل المناهج فى باب التقاضى ، وكفالة مصالح الناس وردها إلى أمثل طريق وأبلج محجة . من أجل ذلك اطرد البحث عما يساير مصالح الناس ويماشى رغائبهم ، وما يدفع عن المجتمع علله وأمراضه ، فشعر المصلحون مرة أخرى بضرورة حماية الأسر من تلك الأمراض الفواتك التى لم يدفعها كثير من أحكام أبي حنيفة المتعلقة بالطلاق وبالتفريق للغيبة وبدعوى النسب وسن الحضانة وما إلى ذلك ، فوضع مرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ خاص ببعض الأحوال الشخصية يتألف من ٢٥ مادة، وهو يقع فى تسعة أبواب: الباب الأول الطلاق (٢) الشقاق بين الزوجين (٣) التطليق لغيبة الزوج (٤) دعوى النسب (٥) النفقة والعدة (٦) المهر (٧) سن الحضانة (٨) المفقود (٩) أحكام عامة

ولا تزال الأمة فى مسيس الحاجة إلى وضع قانون موضوعى، فأشير بوضع ذلك القانون . ثم تألفت لجنة تحت رياسة فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وهى وإن سارت بخطى بطيئة إلى الآن لاعتبارات بعضها يرجع إلى المحيط الراهن، وبعضها يرجع إلى ثقل المسئولية فى هذا القانون ، فهي فيما نعتقد بالغة إن قريباً وإن بعيداً ما تصبو إليه الأمة من كفالة لمرافقها وسد عوزها التشريعى فى حياتها . هذا القانون الموضوعى إذا كتب له الوجود فسوف يجمع بين دفتيه تراثاً صالحاً فى شتى المذاهب حتى مذاهب الأحرار من الفقهاء المشترعين الذين كانوا ولا يزالون بعيدين عن المحيط العملى ، فكان العلماء فى الأزهر لا يأخذون بآرائهم ولا يلقنونه لطلبتهم بل كانوا على النقيض من ذلك من المتبرمين بهم والزارين عليهم ، وكان محذوراً على القضاة الشرعيين أن يتخذوه مدداً لآرائهم القضائية أو مصدراً لثروتهم العلمية لأنهم كانوا مأخوذين بالقضاء على أرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة ، لكن لما تشعبت الحياة فى مناحيها ، واتضح بجلاء أن مذهب أولئك الأحرار المشترعين خليق بتقديره وبعثه من مرقده واتخاذه قبلة للناس فى بعض أحوالهم الشخصية (والحاجة كما يقولون تفتق وجه الحيلة) لجأ طلاب الاصلاح إلى سن قانون موضوعى يحيط قدر المستطاع بمرافق الناس ويسد كفايتهم القضائية ويحرر المقول من كل تقليد لايتفق ومصالح الجمهور . فأين نحن الآن من فكرة تجميع الفقه الاسلامى فى موسوعة واحدة والأحداث كل يوم تحفزنا إلى جديد من الفن فى كل شيء لناقى بين أيدينا دروساً من العظة بالماضى، وإن ماصلح اليوم للعمل به قد لايصلح غداً ؛ وإن سلسلة التجارب لما يقع تحت المشاهدات ستظل متصلة الحلقات بالوجود اتصالاً وثيقاً ؛ ثم مالنا ولتجميع الفقه الرومانى وقد كان الفقه الرومانى — كما يقول بحق الباحث العلامة الدكتور عبد الحميد أبو هيف — قائماً بأسسه وقواعده على التفرقة بين الطبقات ؛ أما الاسلام بقواعده وأسسه فهو قائم على الديمقراطية العادلة والمساواة الواضحة؛ وأية ديمقراطية ومساواة أعمق فى الوجود أثراً وأخلد فى المجتمع ذكراً من تلك التى أسس قواعدها وشيد بنايتها فاطر السموات ومدبر الكائنات وبعثها على لسان الرسول الأعظم قام من بعده خلفاء راشدون ، وحسبك من بينهم عمر الفاروق هذا الذى يضرب أعلى المثل وأنبلها في المساواة وخفض الجانب واحتقار الأثرة فى الواقعتين التاليتين :

مرّ الفاروق كعادته فى جوف ليلة وقد اتكأ على جانب جدار أحد المنازل فسمع امرأة تقول لابنتها: يابنتاه، قومى إلى ذلك اللبن فامزجيه بالماء . فأجابت الفتاة : أما علمت ياأماه بما كان من عزم أمير المؤمنين ؟ قالت الأم : وما كان من عزمه ؟ قالت الفتاة إنه أمر مناديه فنادى فى الناس ألا يشاب اللبن بالماء. قالت: يا ابنتى قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء ، فنحن فى موضع لا يرانا فيه عمر ولا مناديه . قالت الفتاة : يا أماه ، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه فى الخلاء. كان هذا الحوار الطريف يجرى بين الأم وابنتها على مسمع من عمر وهو أشد ما يكون بالبنت إعجاباً وبالأم تبرماً . فلما تحقق من ظفر الفتاة برأيها وانتصار الحق على الباطل — أمر تابعه أن يعلم الباب ليسهل الاهتداء إلى موضعه . وما أن أشرقت الغزالة من خدرها حتى بعث رسوله يستقصى خبرهما ويرى هل الصبية بكر أم متزوجة ؟ فلما علم أنها بكر جمع أولاده بين يديه وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى زوجة رشيدة بصيرة بأمور دينها ، شديدة المراقبة لله، تحذر الآخرة وترجو رحمة ربها ؟ ويميناً لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقنى منكم أحد إليها . فاعتذر ولداه عبد الله وعبد الرحمن لأنهما متزوجان ، فتقدم ولده عاصم الصغير وقال : هأنذا يا أبتاه لا زوجة لى ، زوّجني ممن اخترتها . ثم بنى بها . فقال الناس : تزوج عاصم بن عمر أمير المؤمنين من فتاة راعية فقيرة تبيع اللبن ! ولكن عمر لم يأبه لما به أرجفوا . وصدقه الله فيما نوى ، فقد أنجبت للعالم الاسلامى عمر الثاني وهى الصورة المشبهة معنى وروحاً بالفاروق — ثم ولدت زوج عاصم بنتاً وولدت البنت الخليفة عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب الثانى . وكذلك صدقت فراسة الفاروق فى صلاح هذه الفتاة وتقواها ، ولم يطش ظنه فيها حينما رفعها من سكنى الكوخ إلى رفيع القصور ورضى على نفسه أن يقال : صاهر أمير المؤمنين فتاة راعية ، ولكن عمر لا يأبه لكلام الناس ولا يكترث للأنساب والألقاب فليس عنده من نسب إلا نسب الاسلام ، وليس له من الجاه إلا التقوى

ولقد حفظ التاريخ لعمر حادثة مشهورة رفعت قدره وأعلت ذكره ، وخلدت له المثل الأعلى فى النزاهة وشرف النفس وإعلاء الحق بالتضحية بأعز ما يملك فى سبيل الدين . ومن أجل إحيائه تقديس شعائره — أنه قدم ابنه فلذة كبده وأحب الناس إليه ضحية على مذبح الدين وفداء لسنة الرسول الكريم

سمع أنه شرب خمراً فى مصر ولم يقم عليه ابن العاص الحد على ملأ من الناس ويحلق رأسه كما يجب وكما كان مفروضاً على كل مسلم ، فبعث إليه يقرعه ويأمره أن يرسل ابنه وشيكا على قتب ، ففعل عمرو . وقد وصل عبد الرحمن وهو فى أشد حالات الاعياء والنصب وهو يصيح :

لقد أقيم على الحد فى مصر يا أبت فلا تقتلنى باقامته مرة ثانية . لكن غيرة عمر وشدته فى الحق على عامة المسلمين لم تكن تعرف المداجاة فى زوج أو ولد ، وهو الذي كان يسوى ذاته فى ميزانه بأقل الناس ، فلا غرو أن يقيم الحد على ولده ثم يشاهده وهو يلفظ النفس الأخير ، فلا يجد عند ذلك إلا أن يهنئه على طهارته من أرجاس المعصية وأن يحمله السلام إلى صاحب الأمانة التى قام بها عنه خير قيام .

غير أن لى كلمة فى خاتمة هذا البحث لاتزال بصدرى جياشة ، وهى أن التجميع للتشريع الاسلامى فى أوسع حدوده ومراميه لا يلقى من أهل الرأى تأييدا إلا إذا أيده المسلمون أنفسهم بقوة ما يشع فى صفوفهم من وحدة ، وما يقوم على رباطهم من سلطان، وبقوة تلك الروحانية التى تهيمن على عقائدهم واتجاهاتهم وتصهر ما فى تلك العقائد من زيغ وريب، فاذا حل ذلك اليوم وصارت فيه الغلبة للاسلام تيسر للمسلمين تجميع الفقه الاسلامى تجميعا ما بعده تجميع . وأكبر يقينى أن هذا اليوم مؤذن فى القريب بزوغ شمس سوف تنبسط على أرجاء الشرق فتنتظم أطرافه ؛ وإذ ذاك يحل ذلك اليوم الموموق وتستكمل مصر زعيمة الشرق فى الاسلام ونشر رسالته أقوى أسباب سعادتها واطمئنانها وعلو كلمتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول، أيدالله دولته ، ورفع فى الأنام رايتــه ، إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

« للبحث بقية »

عباس طه
المحامى الشرعى

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٧ —

من أهم ما تدعو إليه المدرسة الحديثة — وتقدم العقادَ نموذجاً له — تفتحُ النفس لألوان الأحاسيس، وانفساحها لصنوف المؤثرات، وتهيؤها لشتى الانفعالات؛ وكثرة الأوتار المرنة بها في العاطفة الواحدة، والعواطف المتعددة، ومطاوعتها لما تتأثر به، لا لما تحفظه وتحتذيه من القوالب المصبوبة

وكل هذا من خصائص الحياة الموفوزة، الغنية بالمذخور من المشاعر المتهيئة للتجدد والنماء، المستعدة للتفرد والامتياز

وقد كان النقد العربي — إلى أمد قصير — قد وضع للعواطف الشعرية مراسم وقيودا، وجعل لها قوالب مصبوبة، ومن هذه العواطف «الحب»

ترى هذا في كتاب «الصناعتين» مثلا وتراه في الكتب المدرسية والمذكرات، وتلمح أثره في كتابات من يتصدون للنقد بعد اطلاعهم على الكتب القديمة وحدها

وتلمح أثر هذا التحديد في ذوق المتأدبين الذين لا يصبرون على صورة جديدة يرونها في غزل جديد أو قديم، لا تكون وفق قوالب خاصة، وعلى طراز محدد من طراز التعبير

ولقد كان هذا يدعوني إلى اتهام الطبيعة العربية والطبيعة المصرية على السواء؛ فما يصبر الطبع الموهوب على هذا الجمود في ألوان الحس والتعبير؛ وما تقف النفس عند صور محدودة معلومة إلا وقد ضاقت عما عداها، واستغلقت دون سواها. ولولا أن هناك فروضاً وأعذاراً تلتمس لقد كان سوء الظن أولى، والاتهام أوجب. ولكنا في انتظار مايطلع به المستقبل من الأدباء والمتأدبين

والعقاد أفسح شاعر عربي نفساً في غزله، وأكثرهم أوتاراً مرنة. فلا عجب تزيد الأنغام في شعره على ما تستطيع الأذن المصرية — إلا نادراً — أن تسمعه وتطرب له؛ ولا عجب يجد الكثيرون صعوبة في تقبل هذه النغمات لأنها تجهد آذانهم وأذواقهم، وتحملهم استعارة طاقات نفسية لا قبل لهم بها، كما تجهد العين الضعيفة تحت المنظار القوى الذى يجمع لها من الضوء فوق احتمالها!

ولكن من الحق كذلك ألا يبيح هؤلاء لأنفسهم مهمة الحكم، وأن يسمعوا قول من يطيقون السماع ويطربون لشتى النغمات، ويصدقوا ذوى العيون التى تحتمل المناظير القوية، فيما تبصر من رؤى وأطياف لا تراها عيونهم الكليلة!

***

وحين يتابع الناقد غزل العقاد فى دواوينه السبعة، يعجب كيف يكون قائل هذه الأنماط كلها رجلاً واحداً لولا أن يثوب إلى خصائص العقاد العامة فى هذه الأنماط على اختلافها.

وتروعه هذه النفس الفسيحة التى تتلقى نماذج الحبيبات كل بما تستحقه، ثم تنفسح بعد هذا لتلقى الحالات النفسية المتتابعة مع كل حبيبة؛ وتتسع لنماذج الحب المختلفة بين الصوفية والحسية، وبين الغرارة والتجريب، وبين البساطة والتركيب، وبين الصعود والهبوط... وتقول فى كل حب، وفى كل حالة شعراً أصيلا كأنه — وحده — هو اتجاهها الوحيد!

ولعل من الخير قبل أن نستعرض هذه الأنماط، كما لحظناها فى شعره الغزلى، أن نأتى باستعراض العقاد نفسه لصنوف الحب التى تيقظ لإحساسه بها على ضوء حب أخير حين يقول:

عرفت من الحب أشكاله ... وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحب المصور تمثاله ... عرفت وحب الشباب الخيال

وحب القداسة لم أعده ... وحب التصوف لم يعدنى
وفى كل حب ورى زنده ... سماتٌ من المؤمن الدين

وحب المزخرف والمنتقى ... وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح وحب التقى ... وحب المجدد والناقل

وحب الثقات وحب الصحاب ... وحب الطبيعة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذاب ... على يأس نفسى من حزنها

وحب التى علمتنى الهوى ... وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى ... ومن بالقوى أنا أمددتها

وحب الجياع صحاف الطعام ... وحب الظماء كؤوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلام ... وحب الضلال وحب الصواب!

صنوف من الحب لا تلتقى ... وفيك التقى لبها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق ... لما كنت كفؤاً لهذا الهوى

وفى «سارة» يفصل بعض صنوف الحب التى يحسها القلب الانسانى فيقول:

« وقد يحب الرجل امرأتين في وقت واحد . لكن لا بد من اختلاف بين الحبين في النوع ، أو في الدرجة ، أو في الرجاء .

« فيكون أحد الحبين خالصا للروح والوجدان ، ويكون الحب الآخر مستغرقا شاملا للروحية والجسدية .

« أو يكون أحد الحبين مقبلا صاعدا ، والحب الآخر آخذا في الأدبار والهبوط

« أو يكون أحد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الآخر مشوبا باليأس والريبة »

ثم يذكر نموذجين في الحب ، لنموذجين من المرأة ، اجتمعا على « همام » بطل القصة ، قد يفيد ذكرهما هنا لبيان رفاهة حس هذا الشاعر ودقته في الاحساس بالحب والنساء :

« لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين : كلتاهما أنثى حقا لا تخرج عن نطاق جنسها ، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى إحداهما أن تحل محل الثانيـة ، وتوشك أن تزدريها »

« ماذا أقول ؟ بل لعلهما من التباين والتنافر بحيث تتمنى كلتاهما قبسا من طبيعة الأخرى ، لولا أنها تنكر الاعتراف بذلك بينها وبين نفسها ، فتسمح للتمنى أن يستحيل إلى نفور

فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة ، فهند قد خلقت راهبة في دير ، من غير حاجة إلى الدير !

تلك مشغولة بأن تحطم مُن القيود أكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ، ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر

الحزن الرفيع والألم العزيز شفاعة عنـد هند مقبولة إذا لم تكن هى وحدها الشفاعة المقبولة . أما عند سارة فالشفاعة الأولى بل الشفاعة العليا هى النعيم والسرور

تلك يومها جمعة الآلام . وهذه يومها شم النسيم

تلك تشكو ويخيل إليك أنهـا ذات أرب في بقاء الشرور تستديم بها معاذير الشكوى ، وهذه تشكو كما يبكى الطفل لينال نصيبا فوق نصيبه من الحلوى

تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون. وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة ، وتعرضها في معرض الزينة والمباهاة

« تلك لقاعدة المتانة والمجاملة، وهذه لقاعدة الرخاصة والبساطة »

ثم يمضى يعدد خصائص كل منهما على هذا المنوال البارع فتفهم أنه متيقظ أشد اليقظة ، بكل وسائل التنبه والادراك في طبيعته ، لكل ذرة ، في كل حبيبة .

* * *

والآن نتابع العقاد في غزله ، ونتصفح الوجوه التي هام بها ، وقال فيها ، فنجد متهاسة وجوه بارزة ، ونجد غيرها منزويا متناثرا

فأما الأول فيستغرق الجزءين الأول والثانى تقريبا ، وفيه تلمح العقاد شابا حدثا ، في نفسه روعة وحذر وإشفاق من وهلة الجمال والحب ، يكتفى أول الأمر باللمحة والنظرة ، ويحوم على الجمال في ورع وتنطس، ويحسب للمجهول والغيب كل حساب ، ثم يأخذ بعد حين في الاستمتاع على حذر كذلك وتلطف واستئذان .

وتجد إلى جواره حبيباً ساذجاً ، عاطلاً من كل حلية نفسية أو فكرية إلا الجمال المجرد الغرير ، فلا عمق ولا فلسفة ولا أطوار

وهكذا — في الغالب — حب الشباب ، وإن فهم الكثيرون أنه أقرب إلى الفتك والبوهيمية والجراءة . فالشاب غالباً تمنعه القداسة ، فان لم تكن أذهلته الروعة قيده حذر المجهول الذى لم تكشفه التجارب ، والعزيز الذى لم يرخصه الاستعمال

إنما يستهتر — حق الاستهتار — الكهل الذى تجمله التجارب يسخر من المقدسات والغيبيات ، وتدفعه بقية القوة التي لم تنضب إلى الاستمتاع بالباقى قبل الفوات !

واسمع العقاد في ورع وإشفاق ينادى حبيبه :

وقف عليك تحيتى وعظاتى ... وعلى صباك نصائحى وعظاتى
أوتيت من حسن الشمائل نعمة ... والحسن في الدنيا من الآفات
هو جوهر يجنى عليك وميضه ... عدوان سراق وحقد عفاة

... ...

فاحذر فان مع الجمال لغرة ... وأراك تأمن جانب الغفلات
واحرس جمالك فالجمال وديعة ... « لله » ترعاها إلى ميقات
واحمل شبابك للمشيب مبرءاً ... مما يكدر ناصع الصفحات

وهكذا إلى نهاية هذه التسبيحة أو التعويذة القانتة !

ثم تسمعه بعد هذا كالطيف الهامس في حذر وتقاة :

إنا لمن معشر حب الجمال لهم ... حب لما كان في الدنيا ومن كانوا
ليأمن الطير . إنا لا نكيد له ... ولا يخف مكرنا وحش وعقبان

الخ

ثم تنظره وقد انجلت هذه الروعة قليلا عن بدء الحسية والاستمتاع ليلة الوداع :

ويا ليلتي لما أنست بقربه وقد ملأ البدر المنير الأعاليا
تطلّع لا يثني عن البدر طرفه فقلت : حياء ما أرى أم تغاضيا
... ...
فقبلت كفيه وقبلت ثغره وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادي طائر عاد إلفه إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضاممنا ليسكن خفقه تنزى فيزداد الخفوق تواليا
أوشج في كلتا يديه رواجبي[1] وشيجاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفي شعره فكأنني أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجني فينفر غاضبا وأعطفه نحوي فيعطف راضيا

ثم تتدرج من هذا إلى متاع صريح، ولكنه خفيف سريع :

أتعلم أم أنت لا تعلم بأني عاشقك المغرم
أتقسم أنك لا تكتم بلى أنت تكتم أمراً أظهر

***

ولا تنس في عين شمس لنا ليالي موقرة بالجنى
ترف عليها طيور المنى مغردة في ضياء السحر

***

فكم بت أسهر تلك الجفون وأذبلها بالطلى والمجون
فباتت كما يعشق العاشقون مضاعفة السحر تسبى الفكر

أجل فليكن ! ولكن شاعرنا لا يزال شاباً يستكثر الليالي المختلسة فيشيد بذكرها ، ويفصلها تفصيلا ، ويكاد في « واقعيته » يحدثنا عن صور الخيال !

وينتهي الحب الأول أو يزحمه الثاني ويبقى على آثاره. والناقد يطالع في هذا حبيباً قريباً في خصائصه من الحبيب الأول ، يمتاز عنه بأنه شره للمعجبين بجماله ، يريدهم حشداً لا فرداً . ولكنه يرى شاعرنا وقد نفض عن كاهله كثيراً من صوفية الشباب وحذره وتوجسه ، غير أنه لا يزال يستمتع في دائرة محدودة ، وبذخائر معدودة عند حبيبه :

يا أشره الناس حسنا إلى عبيد وصحب
وأنهم الناس بالا بناظر مشرئب
يا ليت لي ألف قلب تغنيك عن كل قلب
وليت لي ألف عين تراك من كل صوب
وليت لي ألف وسم وليت لي ألف عيب
لعل حسنك يثني عن ناظر أو محب
ولا تبيت معنى بمن تروع وتسبي

ثم ينجلي الأمر عن حبيب مواف ومحب متفتح ، قد أخذ بعد المتعة والاكتفاء في ترف الطلاقة والفلسفة :

إيهاً أبا الأنهار فوقك شادن يشفي الغليل وأنت لست بشاف
فرعون لم يحمل عليك نظيره والبحر لم يحرزه في الأصداف
أوفى علينا من سماء جماله فاحلم بطلعته وماؤك غاف
واحفظ لديك وديعة من صفونا مأنوسة الذكرات والأطياف
سيطول أيام الصدود سؤالنا لك عن مواقع هذه الألطاف
ونود لو تغني الودادة آسفا رجعى الزمان ولا رجوع لعاف

إلى أن يقول في يقظة طريفة وتأمل واع :

إني سمعت بقدر ما استرجعت لي يا نيل من حقب ومن أسلاف
دهر قد انبسطت عليه ساعة فاستأنفته أحسن استئناف
وصلت حديث زماننا بقديمه وصل الصحيفة نائي الأطراف
وبدت لنا صور العصور كأنها رسم على صفحات مائك غاف
ومناظر القمراء أشبه بالذي أحييت من ذكر مضين ضعاف
فالذكر والنظر العيان كلاهما حلم بها متشابه الأفواف

وتتبين في نهاية هذا الحب نضوج الشاعر ، وانتباهه إلى خطرات الأيام والصروف والأقدار على ضوء حبه ، وتأمله في الكون والطبيعة وإجراء ذلك كله في غزله :

أيها المعطي غدا عن سعة أعط إذ أنت مليء بالعطاء
إنما اليوم لدينا كنز وغد يا صاحبي اليوم هباء
آه لو يبقى على الدهر الصبا آه لو يرأف بالحب الفناء
فرصة فيها جمال وصبا ثم تمضي فإذا الكل سواء
وإذا المشوق في العين كمن تتخطاه عيون الرقباء
كاختلاف اللون في الصبح لنا وتساوى بعد قبح ورواء
نحن في صبح وقد لا نلتقي ليت لليل ابتداء وانتهاء

ثم قطعة بعنوان : « ودع جمالك » اقتطفت بعضها عند الحديث على خاصة اليقظة والوعي الفني ، وأقتطف في هذا المجال بعضاً آخر ، وإن كان يخيل لي أن المقصود بها هو الحبيب الأول ولكنها أقرب شبهاً بما قيل في فترة الحب الثاني ، لما فيها من تأمل وعمق في الإحساس :

أمودعاً حسن الأحبة إنني ودعت قلب الهائم المغرور

---
(١) الرواجب : مفاصل الأصابع

ميتان فى جدث نزورها معاً — واوحشتا من زائر ومزور
يهنيك أنك لا تزال مقيدى — بك حين لاشوق إليك مثيرى
لم أبك وجهك إذ بكيت وإنما — أرثى خرائب عالم مدثور
فاعجب لمن يبكى لجيمة سرمد — بدموع مبتور الحياة حسير

وهى إحدى القصائد الطريفة التى تتجلى فيها «خصوصية» العقاد

* * *

ومتى بلغنا الجزء الرابع من الديوان التقينا هناك بشخصيتين أقرب ما تكونان إلى شخصيتى « سارة وهند » اللتين أسلفنا عنهما الحديث ، وعلة ذلك مفهومة ، وقد أوضحتها عند الحديث على « سارة » والتقينا بالشاعر فى قمة النضوج النفسى والفنى ، وقد وضحت أمامه المعالم ، وانتهت به التجارب إلى فلسفة كاملة فى المرأة والحب والحياة ، واكتملت به جميع القوى اللازمة للاحساس والتعبير ، وعرف غاية الطبيعة من الحب ، وغاية كلا الجنسين ، فلم يبق أمامه إلا أن يمتصر من كل حب رحيقه ، ويرتشف من كل كأس ثمالتها فى طلاقة وبراعة وصراحة

فأما إحدى الشخصيتين فيطلع عليك وجهها من خلال قوله :

أريد التى ألقى سلاحى وجنتى — إليها وألقاها من البأس أعزلا
وأطرح أعباء الجهاد وهمه — لدى قدميها مغمض العين مرسلا
وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا — وجردت أسيافاً وشيدت معقلا
فان تهزمينى فاهزمى عن بصيرة — مريداً لأسباب الهزيمة مقبلا

ويطلع عليك وجهه معها من خلال قوله :

أيها الداعى إلى الله لنا — ما ترى فى دعوة منك إليك ؟
— أنت لو تعلم دائى — فى غنى — عن نداء الغيب والطب لديك
تسأل الله شفائى ولقد — جعل الله شفائى فى يديك
وترجى نظرة لى من عل — ورجائى كله فى ناظريك
فادع لى نفسك أو لا فادع لى — رحمة الرحمن من وجدي عليك
إن قضاها الله أو لم يقضها — حسبنا خطرتها فى شفتيك
بفضل الصحة عندى أننى — بعض ما تطوي عليه جانبيك

وهي كما ترى متحفظة متصونة ، وهو محترس يقظ يلمح ولا يصرح أو هما كما قال العقاد :

« كأنما أشبه بالشجرتين منهما بالانسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان ، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق »

وأما الشخصية الأخرى فتطل عليك من قوله :

ماذا من الدنيا لعمرى أريد — أنت هى الدنيا فهل من مزيد ؟
فيك لنا نور ونار معاً — وأنجم زهر وأفق بعيد
وفيك روض مسفر عاطر — وجوهر حر ودر نضيد
ونشوة الخمر إذا قوبلت — بنشوة منك متاع زهيد
والفن إن لم تك نجواه من — نجواك لغو باطل لا يفيد
وكل ما فى الكون من روعة — لها نظير فيك حى جديد
بل أنت دنيا غير هذى الدنى — وكل حب فيك كون وليد
للمرء دنياوان : مطروقة — فرضى وأخري هو فيها فريد
وهذه ، لا تلك ، ما يشتهي — وهى له الموئل وهى الوجود

وتتبين وجهه معها فى قوله :

قبلات كل يوم وعناق — ووداع كل يوم ولقاء
واشتياق كلما حان الفراق — وعهود كلما جن المساء

وعتاب كل يوم وخصام — جائر الحكم كثير الملل
نرتمى فيه بأهوال جسام — بين سخرى المنى والقبل

وعلى توقيع أنغام الرجاء — نبعث القلبين حباً وخصاما
عبث الطفلين فى مهد الصفاء — كلما راعتهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغدير — وحياة بين ألفاف كتاب
هذه أو تلك يحويها العبير — ويروى مرحها ماء الشباب

لا ظلام الليل يثنيك ولا — لفحة القيظ ولا اليوم المطير
فى دلال منك موفور الحلى — وكلال منك كالظبى البهير

وهى كما ترى أنثى ناضجة بوهيمية ، وهو رجل فنان متفتح قد بلغ من المتعة إلى الترف فانتشى ؛ فانطلق يتفلسف فقال :

وابل من قبل تمطرها — من سماء الحب أخلاف غزار
جزلة المس شهي لمسها — حلوة المزجين من ماء ونار
سقيها محض ولاء خالص — لم يكدره من الدنيا اعتكار
وكذا الاخلاص حر مطلق — كصفات الله ما فيها اضطرار
رو منه الدهر واضحك ساخرا — إن طغى الدهر بأيديه القصار
هاهنا لا العيش محسوس الخطا — لا ولا الوقت بمحدود المطار

الخ ...

* * *

فاذا اجتاز الناقد الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان إلى « وحى الأربعين » و « هدية الكروان » و « عابر سبيل » لم تبعد به النقلة كثيراً عن جو الجزء الرابع ، ولكنه يجد انطلاقاً إلى مدى أوسع فى التوحيد بين الأرض والسماء ، أو بين المادة والروح فى غزل العقاد ، كما يجد الهدوء الرتيب ،

لا تخالجه اللهفة إلا قليلا ، وهى بعد شوق إلى المتاع الطليق ، أكثر منها حرقة إلى إرواء الضرورة المقيدة ، أو هى طلاقة فيها سخرية المجرب الذى سلك الطريق مرة ومرة ، فانجلت فى نفسه الروعة وانكشف المجهول ، ولم يعد أمامه إلا تأمل المشاهد وتسجيل الشواهد ، والموازنة بين ما مضى وما هو آت فى رحلته الحاضرة . والذى علم قيمة العرف والتقاليد ومبلغ إخلاص الناس لها أو تفلتهم منها ، فلم يعد يحسب لمن فى « الخارج » حسابا ، وإنما همه أن يعيش فى عالم من صنعه هو ، يضع تقاليده وحدوده

ولهذا يلوح الشاعر فى الأجزاء الأخيرة منطلقا من القيود فى الاحساس والتعبير انطلاقا لا نجده فى شعر شبابه ، وهذا أثر التجربة وحكم السن والممارسة .

ومع العقاد وجهان أصيلان فى هذه الدواوين الثلاثة ، وعدة وجوه عارضة :

فأحد الوجهين هو الذى يقول فيه قصيدة « غزل فلسفى » والذى فيه « من كل شىء » فى الأرض والسماء ، وفي الماضى والمستقبل و « من كل موجود وموعود توأم » ... الخ

ولعل هذه القصيدة أدل القصائد على هذا الوجه الذى يُشع فى نفس الشاعر كل معانى الوجود ، لأن الشاعر — حينئذ — مستعد لتلقى كل أطياف الوجود ، متفتح لكل معنى من معانيه

والوجه الثانى هو الذى يقول فيه :

بعد سبع من الستين وعشر   عرف الناس فضل ذا الميلاد
عرفوا أي نعمة زارت الأر   ض بأضعاف حسنها المرتاد
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ   ـساً مع الشمس أشرقت فى البلاد
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى   فرعوا عهده بذكر معاد
ذاك ميلادك السعيد هنيئاً   للذى فاز فيه بالاسعاد

ويقول فيه معظم غزليات « هدية الكروان »

والخطوط التى تفرق بين هذين الوجهين صعبة التمييز لو لا أن الثانى أكثر بشاشة وطراءة ، والأول أشد حيوية وتأثيراً

وعلى العموم فالشاعر يبدو فى هذه الفترة واثقاً من نفسه وزمنه ، يترشف كأس الحب فى نشوة ولذة وتأمل وتمهل ، وفى بشاشة ودعابة واطمئنان

ولولا أن المقال قد تضخم وطال لأكثرت من الأمثال ، فهذه هى فسحة النفس التى عنينا ، والتى امتاز بها العقاد كل الامتياز

« حلوان »   سيد قطب

الى وزارة المعارف

كلمة حق في كتب

على أثر ما نشرناه فى العدد الماضى من جواب الأستاذ أحمد أمين وتعليقنا عليه جاءتنا طائفة من المقالات والرسائل فى هذا الموضوع لم نر من المفيد أن نشغل بها صفحات الرسالة فاقتصرنا منها على هذه الكلمة شاكرين لكتابها الأفاضل غيرتهم على الأدب ودفاعهم عن الحق   (المحرر)

كنا فى مجلس ضم لفيفاً من الطلبة ورجال التعليم ، والكل فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، فمنهم من اجتاز مرحلة ثانوية فى دراسته ، ومنهم من اجتاز مراحل فى تعليمه الجامعى. والحديث ذو شجون ، « والرسالة » حظها من الحديث ، ولما ينشر فيها نصيبه من التعليق والمناقشة ؛ وما يكاد الجمع ينفض حتى ترى القوم يتواعدون فى أن للحديث صلة ، وإلى الملتقى فى أعداد الرسالة المقبلة

جئت بهذه الكلمة لأقول إن السبب « الذي من أجله صرف النظر عن تقرير بعض الكتب للمطالعة فى مدارس المعارف المصرية » كان محل نقاش طويل فى هذه الساعة القصيرة

ونحن نعيذ أنفسنا من الغرور يذهب بنا إلى الحط من كفاية اللجنة التى عهد إليها اختيار كتب المطالعة . لكننا لم نر بأساً فى أن نبعث برأى لفيف من الطلبة والأساتذة لا نعتقد أنهم ارتأوه أواعتقدوه تزلفاً للزيات. فالصلة التى تصلهم بالأستاذ الزيات هى عين الصلة التى تصلهم بالأستاذ أحمد أمين ، وهى صلة الأدب والذوق المشترك ، هذه الصلة التى تدفع كل واحد إلى إبداء رأى هو صدى صادق للكيفية التى أدرك بها الانتاج الأدبي لأي كاتب أو شاعر أو صاحب فن

ومن الطبيعي أن نتحسس ذلك الضعف الأخلاقى لو كان فى كتابين عاليين قُدّر لهما من سعة الانتشار ما لم يقدر لغيرهما من الكتب . لقد كان الأستاذ الزيات أميناً فى نقل هذين الكتابين إلى اللغة العربية ، أتراه حور من مضمونهما بحيث نرى الفضيلة فى (رفائيل) جريمة ، والعاطفة فى (آلام فرتر) ضعفاً أخلاقياً ؟

لست أدفع عن المترجم تهمة هو أبعد الناس عنها فقد كان

أميناً فى ترجمته ، ولكننى أدفعها عن مؤلفى هذين الكتابين وهما على ما يعلم الناس من أعلام فلاسفة الغرب وفحول شعرائهم . ونحن لا نرى حاجة إلى أن نلجأ للعبارة نصوغها دفاعاً عنهما فالكتابان بين أيدينا ووقائعهما فى ذاكرة الكثيرين منا ، ولم تستطع أن تلمح الأثر الذى من أجله صرف النظر عن هذه الكتب

كنا وكان غيرنا فى سنّ الصبا يوم صدر (رفائيل) ، وأذكر جيداً أن هذا الكتاب ما كان يبقى فى يد القارئ أكثر من يومين اثنين لقلة النسخ وكثرة الطلاب المتلهفين على قراءته .

ولو لم يكن رفائيل كتابا فيه عاطفة نبيلة وشعور حى لكفى أن يكون فى لغتنا قطعة فنية . وأشهد أن لأسلوب الترجمة الفنية التى ظهر بها هذا الكتاب هذا أكبر الفضل فى تحسين أسلوبنا الانشائى يوم كنا نجيل البصر فى الكتب على الرفوف فلا نرى غير ركام من ألفاظ وعبارات يمجها الذوق ولا يلازمها الحسن أوشبهه .

وإلى القارىء آلام فرتر ! فهل كان « جوت » الفيلسوف مخادعاً يوم قدّم كتابه إلى العالم وقال فى مقدمته « إنك لن تستطيع وأنت تقرأه أن تحبس نفسك عن الاعجاب بفكره وقوة حسّه ، ولا قلبك عن الولوع بخلقه وشرف نفسه ، ولا عينك عن البكاء لعثار جده وبؤسه ! »

اللهم إنا لم نجد فى الكتاب غير ما قدم المؤلف به كتابه ، ففيه الشرف الصميم وفيه الخلق الكريم وفيه الاخلاص والأيثار والصبر والجلد .

وما أرى أن الدكتور طه حسين كان مدفوعاً للثناء يوم قال فى مقدمة الكتاب « لقد وفق صديقنا الزيات حين نقل إلى اللغة العربية آلام فرتر للشاعر الفيلسوف « جوت » . ووفق إلى حسن الاختيار فما كان لشعب يُجِل نفسه ويريد أن يعد بين الأمم الحية أن يجهل شاعراً فيلسوفاً كجوت قد أثر نبوغه الفنى والفلسفى فى الحياة العلمية والنفسية للعالم الحديث أشد تأثير . وما كان لهذا الشعب أن يجهل كتاباً كآلام فرتر قد عرفه الناس جميعاً فى أوربا فأحبوه وكلفوا به ، حتى أنك لا ترى فتى ولا فتاة فى السادسة عشرة من العمر إلا قرأه وقرأه وحاول أن يتفهم معانيه ويتأسى بما فيه » .

لانظن الدكتور طه حسين منع هذا الكتاب عن أولاده أو نصح لهم بالحيطة فى قراءته ولا نشك فى أن رجال المعارف بلا استثناء يزينون مكتباتهم بهذا الكتاب العبقرى الخالد ويسرهم أن يروه فى أيديهم بنيهم وبناتهم

بقيت مسألة هى مدار البحث ويجب ألا تعتبر كلمتى فيها فضولاً . فان لمصر مكانتها فى العالم العربى ، ولثقافتها المكان المرموق فى نظر طلاب العلم والأدب . فالكتاب الذى يرى أئمة الأدب فى مصر أنه صالح للتداول يصبح هذا الرأى كورقة النقد تصرف فى أى مكان . فهل من الحق أن كتاب «رفائيل» وكتاب « آلام فرتر » لهما أثرهما فى الأخلاق من « ناحية عكسية ؟ » . الطالب يجيبك : لا ، والأستاذ لا يمنع أن يكون هذان الكتابان فى صدر مكتبه وبين أهله وأولاده

أذكر أن « فرانس بيكون » قال فى الكتب : « إن من الكتب مايذاق ، ومنها مايبلع ويزدرد ، ومنها مايمضغ ويهضم ويتمثل » فكم فى مكاتبنا من تلك الكتب التى تذاق وتبلع وتمضغ على درجاتها ؛ اللهم إنى إذا أجهدت نفسى وبحثت مع غيرى عن الكتب التى تضمنتها مكاتب الكثيرين من طلاب المعاهد فى العالم العربى لم أعد إلا وفى قلبى طعنة الأسى والأسف لهذه المختارات والمنتخبات يعودون إليها بين الحين والحين

إذا كان رفائيل وفرتر مفسدين للأخلاق فماذا يقال فى آلاف الكتب البوليسية والروايات الخليعة والمجلات الساقطة التى تغص بها مئات المكاتب فى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وبغداد ؟ إذا كان فى هذه الكتب انتحار فلماذا لا تمنع الصحف عن أعين الطلاب وفيها عشرات الحوادث من هذا النوع فى كل يوم ؟

لو لم تقرر اللجان كتاباً من الكتب واكتفت وذلك بأن تفرض رقابة على وسائل الانتاج الثقافية لكان ذلك خيراً . أما أن تترك الأدب الرخو الخليع المكشوف يطغى على أكبر جزء من تفكير الشباب ثم تمنع أو لاتحبذ تقرير كتابين هما درة الكتب لأعلام الكتاب فهذا ما تؤاخذ عليه

« فلسطين » على كمال

ماضى القرويين وحاضرها

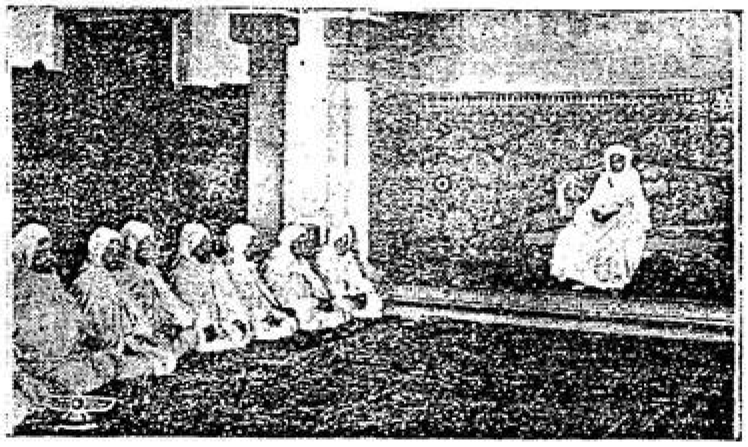
للأستاذ عبد الله كنون الحسنى

— ٣ —

وليس لأوقات الدراسة ضابط معين بل النهار كله من طلوع الفجر إلى المغرب وقت صالح للتدريس وتزاد عليه الحصة الواقعة بين العشاءين أيضاً . والدرس قد يمتد إلى الساعتين والثلاث بحسب قوة الأستاذ . وتدرس العلوم العقلية والنقلية فى الصباح والمساء على السواء ، إلا أن الغالب تخصيص الحصة التى بين العشاءين بالدروس الدينية والتهذيبية والوعظية من التفسير والحديث والفقه لحضور العامة لها إذ يكون الوقت وقت فراغ وانصراف عن الشغل . وكذا يقال فى الدرس الأول الذى يكون عقب صلاة الصبح . وأيام العطلة هى فى الغالب الأخمسة والجمع وأسابيع الأعياد وأيام المواسم . على أن منهم من يغتنم فرصة هذه الأيام فيقرأ فيها فنوناً متنوعة فى كتب صغيرة مما يتهيأ ختمه فى مدة قريبة

ومواد الدراسة لا تنضبط بعدد ولا تستقر على حال . على أن الدروس الدينية واللغوية لم تنقطع من الجامعة فى وقت من الأوقات ودائماً تكون لها الأغلبية ، فى حين أن العلوم العقلية منها ما لا ينهض إلا بمناصرة السلطة التى يكون هواها مع هذا العلم أو ذاك كما حصل على عهد الموحدين من إحياء علوم الفلسفة والأخذ بضبع أهلها لما كان من ميل يوسف بن عبد المؤمن (مأمون المغرب) لها وشغفه بها . ومنها ما كان يروج وينفق إذا وجد من يحسن القيام عليه والدعوة إليه من أهله المتحققين به المتفرغين له كالنهضة العظيمة التى كانت لعلوم الرياضة على عهد المرينيين ، والتى أوجدها أفراد من العلماء كانوا فى عهدهم منقطعى القرين فى تلك العلوم

ثم الطلبة قسمان : (١) أهليون ونعنى بهم أبناء فاس ، وما زال أهل فاس من أحرص الناس على طلب العلوم الدينية فى القرويين (٢) وآفاقيون ومنهم الواردون على فاس من مختلف المدن والقرى فى المغرب بل والجزائر والصحراء ، وعددهم يتراوح بين (٥٠٠) و(٧٠٠) طالب . ومحل سكناهم المدارس التى سبق الكلام على بعضها ، ويتناولون من الأوقاف بصفة مؤونة رغيفاً واحداً فى اليوم . ولبعضهم جرايات وقفية لا بأس بها يأخذونها مقابل بعض الأعمال التى يقومون بها فى المساجد الأخرى والقرويين نفسها



(جلالة السلطان سيدى محمد والوزراء جاثون بين يديه)

وكان للطلبة قبل هذا الآن صولة كبيرة بحيث أن السلطة لم تكن تتدخل فى شؤونهم وإنما يرجعون فى فصل خصوماتهم إلى مقدميهم وإلى الأساتذة . ومما يدل على مزيد الاعتبار الذى كان لهم سواء عند الشعب أو الحكومة ، تلك النزهة الربيعية التى كانوا يقيمونها كل سنة على ضفاف وادى الجواهر خارج فاس ويشارك فيها جميع طبقات الشعب والحكومة نفسها فيرسل السلطان ممثله ، ويهدى السلطان الى الطلبة هدية جميلة فى مهرجان حافل ، بينما يقدم الطلبة على لسان سلطانهم طلبات مهمة إلى السلطان ، وقد يكون فيها العفو عن مجرم أو الرضا عن قبيل ما ، أو تحريرهم من مغرم ونحوه إلى غير ذلك ، فتنفذ الطلبات بسرعة ويرجع الطلبة مفعمين بالسرور والزهو والحبور . وهذه النزهة لا زالت تقام حتى اليوم لكن لم يبق لها الاعتبار السابق

وإذا نظرنا إلى تاريخ العلوم فى القرويين نجد أنها اجتازت بثلاث مراحل مهمة :

الأولى: عند قيام الدعوة الموحدية فى منتصف القرن السادس حيث انتصر مذهب الأشعرية فى الاعتقاد على مذهب السلف

الذى كان عليه أهل المغرب منذ البدء ، فدخل علم الكلام على طريقة الأشعرى بما يستلزمه من نظريات الفلسفة ومقدماتها إلى القرويين وتوطد أمره فيها منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا

والثانية : عند ما أعلن يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين الحرب على علم الفروع وعمل على نشر السنة بالترغيب والترهيب وأحرق كتب الفقه من المدونة والتهذيب والواضحة وغيرها ، فانصرف الناس إلى علوم الحديث والتفسير وإحياء ما اندثر من أصولها وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى الدراسات الاسلامية بالقرويين

والثالثة : عند ما أصدر السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى منشوره الاصلاحى الهام إلى الشيخ التاودى بن سودة ، وكان رأى ما آلت إليه الحركة العلمية فى القرويين من الفتور والاضمحلال فساءه ذلك المآل وعمل على بعثها وتجديدها بما أثر فى حياتها المستقبلة بعد ذلك تأثيراً بليغاً

هذا مجمل نظام القرويين والحالة العامة التى كانت عليها إلى انقضاء الثلث الأول من القرن الرابع عشر الحاضر . وبعد ذلك فى عام ١٢٣٢ هـ دخلت الكلية فى طور الاصلاح والتنظيم الحديث إذ أصدر السلطان مولاى يوسف رحمه الله أمره بتأسيس مجلس للنظر فى شؤون القرويين ووضع برنامج للدراسة فيها ، فتألف المجلس ووضع البرنامج ، وكان من أهم ما اشتمل عليه مما يعدُّ حدثاً جديداً فى تاريخ الكلية ، تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائى وثانوى ونهائى، وتقرير نظام المراقبة والامتحانات؛ ولكن تنفيذ هذا البرنامج كان من العسير لمخالفته لمألوف الناس الذين يقفون كثيراً مع العادات . وجاءت مشاركة بعض الشخصيات الغربية فى وضعه ضغثاً على إبالة ، فاستراب الناس به حتى من كان يحب الاصلاح ويميل إلى التجديد . وهكذا بقى ما كان على ما كان. وحدث أن السلطة كانت تستخدم بعض الشخصيات البارزة من العلماء فى مختلف المصالح ، والبعض الآخر كان ينتثر عقده بالموت ، فلم يشعر الناس إلا وجامع القرويين يكاد ينعق فيه البوم والغراب لخلوه من أهل الكفاية والجد الذين كانوا يعمرونه بالدروس النافعة الدائمة ولا يبغون على ذلك ثواباً ولا أجراً . فقلقت الأفكار وساءت الظنون وكثرت المساعى التى ترمى إلى الاصلاح العملى والتنظيم الجدى ، فما كان إلا أن صدر الأمر الملكى المحمدى الكريم بذلك ونفذ فى محرم فاتح عام ١٢٥٠ ولا يزال العمل عليه إلى الآن

ينص هذا الأمر على تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام كالسابق ويزيد عليه بجعل القسم النهائى على نوعين : دينى وأدبى . ويحصر مدة الدراسة فى (١٢) سنة منها ثلاثة للابتدائى وستة للثانوى وثلاثة للنهائى . وفضلاً عن تقريره لجميع العلوم الشرعية وآلاتها التى كانت تدرس فى الكلية من قبل — فإنه أضاف إليها علوماً جديدة كالتاريخ والجغرافية والهندسة وجعل عدد الأساتذة النظاميين (مبدئياً) ٣٢ وعين لهم أجوراً لا بأس بها ، وحدد مدد العطلة ، وضبط أمر امتحانات النقل والتخرج ، وبين نتائج النجاح وما يخوله نيل الشهادة فى كل من الأقسام الثلاثة

(يتبع — طنجة) عبد الله كنون الحسنى

من المطاف والجد

تحيـــة كاب

إلى الكلب البوليسى « هول »

للأستاذ محمود غنيم

كلبٌ ينمُّ على الجناهْ　　تمشي العدالة فى خُطاهْ
إن قال أرهفت النيا　　بةُ سمعها وصغى القُضَاه
كم أفْلَتَ الجانى فشمَّـــر ساعـــديه واقتفاه
لم يُعْىِ أهلَ البحث ســـرٌّ غامضٌ إلا جلاه
يستخرج السرَّ الدفيـــنَ كأنه بعضُ الْحُواه
وكأنما هو إذ ترا　　هُ مشعوذٌ يتلو رُقاه
عَىُّ اللسان وإنما　　فى أنفه جُمعت قواه
هو لا يحيد عن الصوا　　ب ولا يُحَابى من رشاه
لا يعرف القربى ولو　　كان الذى يجنى أخاه
هيهات لا إشكالَ فيـــما يَدَّعيه ولا اشتباه
كم ناطقٍ تبع الهوى　　فلوى بغـير الحق فاه
ضَلَّ ابنُ آدمَ نهجَهُ　　حتى رأى كلباً هداه
ما أضعفَ الإنسانَ مَقْـــدِرَة وأكثرَ ما ادَّعاه
قدبات يرعى الأمْنَ «هُو　　لُ» وغيرُهُ يرعى الشياه
كلبٌ عصاميٌّ بَنَتْ　　أركانَ دولته يداه
يا رُبَّ مفتخرٍ عَليـــكَ ببيت مجـــدٍ ما بناه
كلبٌ وضيعُ الأصل لا　　ليثٌ ولا ليثٌ نماه
استقبـلوه مُصَفِّقيـــنَ كأنه بعضُ الغُزَاه
كم وَدَّ شبلُ شرًى بجَدْ　　عِ الأنف لو أضحى أباه
خافته دون الله أفـــئدة الجبابرة الطغاه
يخشاه من لا أُذنَ تســـمعه ولا عينٌ تراه
عجباً يخاف الـكلبَ قو　　مٌ لا يخافون الإلٰه!

***

شيخَ الكلاب أخَفْتَ ذئـــبَ الأنس لا ذِئبَ الفلاه
لهجَتْ بذكرك ألْسُنٌ　　وروت حوادثك الرُّواه
وَسلبْتَ كلبَ الكهف ما　　بيديهِ من عزٍّ وجاه
لم تَقْضِ فى النوم الحيا　　ةَ كما قضى فيه الحياه
لـكن سهرتَ على السلا　　م وبات ينعَمُ فى كراه
صاد الكلابُ فكان صيـــدُهم الحمامَة والقطاه
وأنفت من صيد البُزَا　　ة فصدت صيَّادَ البُزَاه
إن طوقوك فطالما　　طوَّقْتَ أعْنَاقَ العُتَاه
أو سلســـلوك فطالما　　سَلْسَلْتَ أقدامَ العصاه
يا أيهـا الواشى رَعا　　كَ اللهُ من بين الوشاه
يا رُبَّ مَظْـلومٍ له　　كُتِبَتْ على يدك النجاه
بإشارة منك الحيـا　　ة لمن تشاء أو الوفاه
للأمن شُرْطيٌّ عليـــهِ ساهرٌ يحمى حماه
لا يستقلُّ بمكتبٍ　　بين اليراعة والدواه
قبض المرتَّبَ غـيرُهُ　　والخبزُ فى الدنيا كفاه
ما زان مِعْصَمَهُ شريـــطٌ أو تألَّقَ مِنْكباه
أدَّى لوجـــه الله وا　　جِبَهُ بحزمٍ وانتباه
متواضعٌ بين الجنو　　دِ يلينُ إذ يقسو القساه
يا رُبَّ جنديٍّ بدا　　لك بيدقاً فى ثوب شاه
يمشي فيغضبُ حين لا　　تعنو لطلعتـه الجباه
قالوا أتُطْرِى الكلْبَ قا　　لتُ لهم ومن أُطرِى سواه؟
يرعى الودادَ وما رأيـــتُ من الأنام فتًى رعاه
لا أبتغى صـلة الأنا　　م فكلُّهم مثلى عُفاه
كم لَذَّ طعمُ وعودهم　　عند المرور من الشفاه
فتبخرت تلك الوعو　　دُ كما تبخرتِ المياه
الصُّلْبُ بين الناس إنْ　　أنت استندت إليه وَاه
والليثُ فيهم ساعةَ الـــجُلَّى يفرُّ فِرار شاه
لا يؤْمَنُونَ عَلَى الأذى　　والكلْبُ مأمونٌ أذاه
سألوا الكلابَ الحقَّ إذْ　　وَجدُوه بينَ الناسِ تاه

محمود غنيم

الغـــد المشؤوم !!

« إليك ... وقد وعدتنى بلقاء
الغد فما عدت ! ولا عاد !! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وَقُلْتِ : «غداً تبرا جراحُك» فانطوتْ
عَلَى نارِها تحتَ الدُّجى تتضـرَّمُ
تُغَمْغِمُ باسمِ الفجرِ ، علَّ صباحَهُ   بفرحتها فوق الرُّبى يتبسَّمُ
وعادتْ كما كانتْ جِراحاً حزينةً
تكادُ عليها خيبةُ الروحِ تلطِمُ !
وَقُلْتِ : « غداً ليلاتُكَ السُّودُ تنجلِي
ويهجُرُ دُنيانا العذابُ المخيِّمُ ! »
فنيَّدتُ أجفانى عن النومِ علَّها   إذا ماتَ ليلِي فى ضُحى الحبِّ تنعَمُ
فعادتْ كما كانتْ وجُنَّ ظلامُها   فذابَ به طيفُ الضياءِ المُهوَّمُ !
وَقُلْتِ : « غداً يا شاعِرى تلمحُ المُنى
عَلَى رُوحِكِ الشاكى الحزينِ تحوّمُ ! »
فعلَّلتُ ساعاتى ! وقلتُ : لعلَّما   هواكِ غداً يا نفسُ يحنو ويرحَمُ
وجاءَ غدِى المشؤومُ خيبانَ بعدَ ما
قضى الليلَ ـ مفطورَ الرجاءِ ـ المُتيَّمُ !
وَقُلْتِ : غداً صحراءُ عمرِكَ جنةٌ   وَصفوٌ لدُنيانا ، ولهوٌ وأنعُمُ
وتسبيحُ أحلامٍ ، وآفاقُ نشوةٍ   ودُنيا أغانٍ للهوى تترنَّمُ !
وجاءَ غدِى قفراً محيلاً سكونُهُ
مناحاتُ جِنٍّ فى الكهوفِ تُدمدِمُ !
وَقُلْتِ: دُخانُ اليأسِ ولَّى وفى غدٍ   سيَسعَدُ هذا البائسُ المتجهِّمُ !
وجاءَ غدِي لا كانَ جاءَ ولا انتهى   إلىَّ بهِ دهرِى الأثيمُ المذمَّمُ !
فسِرتُ وأيامِى خرابٌ وظلمةٌ !   وعيشِى ملالٌ كلُّهُ وتبرُّمُ !
عَلَى شبحِى المهدودِ فوضَى ! وضجَّةٌ
ويأسٌ ! وفى قلبِى منَ الحزنِ مأتمُ !
وفى نفسِى لو ينشقُ الموتُ ريحَهُ   زوافرُ تبلى منْ لظاها جهنَّمُ !
فيا غادتى أقسمتُ بالحبِّ بالمُنى   بنورِكِ بالفنِّ الذى راحَ يلهِمُ !
لقرَّبتِ لى يومَ اللقاءِ ! وعُدتنى   ليهدأَ مفجوعُ الأمانىِّ مُسقَمُ
وأسعدَ قبلَ الموتِ لو شئتِ لحظةً   أزوِّدُ منها للخلودِ وأغنَمُ
وإنْ شئتِ نسيانى .. فيا ضيعةَ الهوى !
وضيعةَ أحلامى التى كنتُ أحلمُ !
ويا ضيعتى فى العاشقينَ ! كأنَّنى   منَ اليأسِ لغزٌ فى فمِ الحبِّ مُبهَمُ !

دعوة إلى المـــرح

للأستاذ فريد عين شوكة

ودَعْ الهمَّ والشجنْ   فالجوى يُفسدُ الزمنْ
واغتنم ساعةَ الرضى   فالرضى راحة البدن

عِشْ بدنياكَ كالطيور   مَرِحَ النفس منشدا
لا تدعْ عمركَ القصير   يتقضى فى البكا سُدى

سوف تبكى وتنتحبْ   والورى عنك فى شُغُلْ
وإذا دمعك انسكب   ضحكت حولك المُقَلْ

هل ترى شاكياً شكا   فشكا واحدٌ معَهْ ؟
أو ترى باكياً بكى   كفكف الناس مدمعه؟

طبعُ المرءِ مالَهُ   غير إشباع رغبتِهْ
وإذا الخطبُ غالَهُ   راح يشكو لصُحبتِهْ

يا مشوقاً لما مَضى   هل يوافيك ما اندثرْ ؟
ما مضى فات وانقضى   وغدٌ مغلقُ النظر

فاشحذ العزمَ للغدِ   إنه موئلُ المُنى
وادفع اليأسَ باليدِ   تجد الصعب هيِّناً

إنما اليأس فى الحياه   معولٌ يحطِم القوى
وإذا لامستْ يداه   صرحَ مجدٍ بها هوى

فريد عين شوكة



الى الأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلقد قرأت باعجاب ما نشرتموه فى الرسالة جواباً على الأسئلة الأشقودرية ، وأفدت منه علماً كثيراً أشكركم عليه وأسأل الله أن يجزيكم عنه خير الجزاء . ولكني وقفت عند قولكم (إن الطرق الصوفية تجانية وغيرها إنما أحدثت فى الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة ، إلى آخر ما قلتم)، وخشيت أن يفهم بعض القارئين من هذه الجملة أن جمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة لا يكون إلا بهذه الطرق ، فتكون الشريعة إذن ناقصة محتاج إلى متمم ، مع أنكم لا تريدون هذا ، ولا تشكون في أن الشريعة جاءت كاملة مكملة ، لا تحتاج إلى أدنى زيادة ، وأنها تكفل للمسلم كل خير ينبغى له فى دنياه وآخرته . وإذا كان ذلك كذلك فماذا يبقى لهذه الطرق من عمل ؟ وهل تخلو من أحد شيئين : إما أن تكون زيادة على الاسلام فهى مردودة ، وإما أن تكون الاسلام نفسه فلا يبقى فرق بين مسلم شاذلى أو نقشبندى، ومسلم ليس له طريقة من هذه الطرق ، وتكون الطرق على هذا الغرض تحصيل حاصل وهو باطل . وليت شعرى ما القصد من هذه الطرق ؟ إن كانت للذكر المرتب ففى كتاب الأذكار للنووى من الأذكار المأثورة ما يملأ يوم المسلم وليلته، وهى أفضل قطعاً من الأذكار التى وضع صيغها شيوخ الطرق ؛ وإن كان القصد تهذيب السريرة وتنقية القلوب فليس وراء الكتاب والسنة ما يهذب سريرة وينقى قلباً ؟ فهل القصد إذن تفريق جماعة المسلمين ؟

هذا كله إذا خلت الطرق من كل ما يخالف أصل الدين، أما إن وقع فيها الخلاف كما هو الشأن فى كثير من الطرق فهي مردودة بالاتفاق

بقى يا سيدي عدكم (الوهابية) من الطرق الصوفية ، مع أن الوهابية حركة سلفية يراد منها ترك كل مبتدع فى الدين ومنه هذه الطرق ، والرجوع إلى الكتاب والسنة . ثم إنه ليس فى الدنيا مذهب أو طريقة تدعى (الوهابية) ، ولا يعرف هذه الكلمة أهل نجد أنفسهم ، ولا كان ابن عبد الوهاب صاحب مذهب وإنما هو مصلح منبه ، وأهل نجد حنابلة على مذهب الامام أحمد ناصر السنة

هذا ولكم يا سيدى الشكر الأجزل والسلام عليكم ورحمة الله

« دمشق » على الطنطاوى

مكتبة دار الآثار فى بغداد

روت (الأخبار) البغدادية ما يأتى :

ذكرنا فى أعدادنا السابقة لمحا عن مكتبة دار الآثار فى العاصمة وما تحويه هذه الخزانة العلمية من أسفار وكتب يفتقر إليها الكثير من مكتبات الأمم الراقية في هذا الباب ، ونوهنا بالجهود الكثيرة التى يبذلها سعادة الأستاذ الكبير ساطع الحصرى مدير دار الآثار القديمة فى سبيل جعل مكتبة العراق الأثرية فى طليعة مكتبات الآثار فى العالم بما تضمه فى رفوفها وخزاناتها من المؤلفات القيمة فى العاديات والآثار القديمة من جميع النواحى

ونذكر اليوم أن طائفة كبيرة من هذه الكتب الثمينة أضيفت إلى المكتبة الأثرية العراقية ، وكيفية ذلك أنه يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية معهد باسم معهد الابحاث الأمريكية الشرقية غايته التعاون مع البلاد الشرقية من الناحية الأثرية . كان بعض العلماء الأثريين الأمريكيين قد أوصوا بمكتباتهم لهذا المعهد على أن يبعث بها إلى بغداد عاصمة العراق عند قيام دار الآثار فيها بتأسيس معهد للآثار . وقد مر زمن طويل على ذلك دون أن تقدم هذه الكتب إلى دار الآثار العراقية تنفيذاً لرغبة الموصين بها ، وعليه فقد سعى الأستاذ الحصرى فى جلب هذه الكتب والاستفادة منها هنا . وأخيراً وبعد جهود كثيرة نجح الأستاذ الحصرى فى مسعاه إذ قد وصلت هذه الكتب القيمة التى يبلغ عددها بضعة آلاف إلى مديرية الآثار العراقية

وخصصت لها غرفة واسعة نظمت فيها الخزانات وصنفت عليها الكتب بترتيب يسهل على المطالعين الاستفادة منها

عقد مؤتمر عام للدفاع عن مصالح الإسلام

وزع مكتب الأنباء الألماني هذه البرقية من دمشق :

اجتمع هنا أقطاب علماء الاسلام وقرروا دعوة جميع رؤساء الدين المسلمين إلى مؤتمر إسلامي عام . وسيبحث هذا المؤتمر طرق الدفاع عن مصالح الاسلام ، ورجا المجتمعون من فضيلة شيخ الجامع الأزهر في القاهرة أن يشترك في هذه المؤتمر

اللغة العربية في الكلية الطبية العراقية

كانت وزارة المعارف قد اقترحت على الجهات المختصة أن يلزم خريجو المدارس الثانوية في الدخول سنة واحدة إلى الكلية الطبية العراقية بغية تقوية ثقافتهم باللغة الانكليزية . وقد عرض هذا الاقتراح على سعادة الدكتور السيد هاشم الوتري عميد الكلية فعارضه نظراً لاعتزامه تغيير لغة الدراسة في الكلية المذكورة وجعلها باللغة العربية أسوة بالكلية الطبية في دمشق التي لا يدرس طلابها العلوم إلا باللغة العربية

وقد رفع العميد إلى الجهات المختصة مقترحات بهذا الصدد. ولا ريب أن هذا العزم لو تحقق سيكون للكلية الطبية العربية شأن كبير الأثر في خدمة الطب في هذه البلاد نظراً لما في ذلك من بعث المصطلحات الطبية التي كان يستعملها أطباء العرب الأقدمون

الى الأستاذ الكبير العقاد

بمناسبة البحث القيم الذي تعالجونه على صفحات الرسالة الغراء ، أرجو التبسط والإفاضة فيما يأتي :

١) هل تؤمنون بمقاييس الجمال التي تعتمد أول ما تعتمد على الأرقام ؟

٢) أيتوقف تذوّق الجمال على مقدار التحضّر والتثقف ، أم هو فن كالشعر ... يتوقف على الالهام والمواهب الطبيعية ؟

٣) وعلى ذلك . هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ، ذو الخيال الوثاب الذي استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة، ويترجم عنها في قصائده عن « رسم مثال للأنوثة موافق لمعاني الجمال بمعزل عن المتعة لتخلف الأوان ... »

٤) وهل لتخلف الأوان دخل في تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك ، فما بالنا نرى تمثال « ڤينوس » مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال في العصر الحديث ؟

« القنايات » عبد المنعم شلبي

صناعة السيللوز من دوالي العنب

وصل المهندس الكيميائي فالاني بعد تجارب عدة إلى اكتشاف طريقة لاستخراج السيللوز من دوالي العنب المستعملة في إنتاج الورق والحرير الصناعي ، وهذا الاكتشاف يساعد مساعدة كبرى على الوصول إلى الاستقلال الاقتصادي بينما يسمح بتشغيل الأيدي العاملة القروية والصناعية

تضامن وتواثق

قال الأستاذ الجارم بك في بعض محاضراته عن الأخطاء الشائعة في اللغة العربية التي ألقاها بواسطة الاذاعة اللاسلكية إن كلمة (تضامن) فشت فشوا عظيما في هذا العصر وليست موجودة في لغة العرب ثم استبدل بها كلمة (تواثق) واستشهد بقول كعب بن زهير : (ليوفوا بما كانوا عليه تواثقوا) ولكن كلمة تواثق لا تحل محل كلمة تضامن خصوصاً في هذا العصر لما حملها القضاء من معنى مختلف جداً عن (تضامن) لأننا إذا قلنا تواثق سعيد مع حليم على تنفيذ هذا العمل أردنا بأنهما تعاهدا فيما بينهما والتزم كلاهما بتنفيذ شروطه التي تخصه؛ وأما إذا قلنا يقر سعيد بأنه ضامن متضامن مع حليم في دفع هذا المبلغ أردنا بأنهما سيلزمان بدفع المبلغ معاً أو سيدفعه حليم وحده إذا لم يتوقف

فاذاً كلمة التواثق تفيد القيام بتنفيذ الالتزامات وكلمة التضامن تفيد كفالة شخص ما في دفع ما عليه أو الدفع معه أو الدفع محله.

فالفرق إذاً بعيد بين الكلمتين ولن تغني إحداهما عن الأخرى شيئا .

ولن نستطيع أن ننبذ اليوم كلمة التضامن بعد ما أصبح لها من معنى خطير في القضاء . وليس يضير العربية إذا لم تكن هذه الكلمة موجودة في كتبها ومعاجمها وأوجدناها نحن للفائدة الضرورية على القياس الصحيح . وقد ذكر الأستاذ في المحاضرات التالية ألفاظا أجراها على القياس ولم تكن موجودة في العربية كـكلمة (عبء) في قصيدة المتنبي البائية الخ ...

فهل من كلمة عربية صحيحة تفيد المعنى المطلوب وتغني عن تضامن؟

ط . م . ب



الظاهر بيبرس
وحضارة مصر فى عهده*

تأليف الأستاذ جمال الدين سرور

للأديب حسن حبشى

تُرَى إلى أى مدى بلغ اهتمامنا بتاريخنا القومى ... ؟ خطر ببالى هذا السؤال وأنا أتصفح هذا الكتاب الذى حاول فيه مؤلفه الشاب أن يرسم صورة لمصر فى تاريخ مصر له قيمته من الناحيتين القومية والدينية . ومما يسترعى انتباه المتتبعين للدراسات العالية هو انصراف أكثر الباحثين إلى نواح خاصة من التاريخ والأدب انصرافاً كلياً ، على حين أن هناك نواحى فى كلا هذين الفرعين لما تزل بكراً ، ومن ثم كان اهتمام الأستاذ جمال الدين سرور بتناول هذه الناحية أمراً يشكر عليه ، فلقد خصص من حياته الجامعية عامين لدراسة عصر الظاهر بيبرس ، فخرج بهذا الكتاب القيم الذى منحته كلية الآداب من أجله درجة « أستاذ فى الآداب »

إن كلا من الظاهر بيبرس وعصره موضوع جديد يتطلب من الباحث الرجوع إلى كثير من المخطوطات ، ومرجع ذلك قلة من يعنيهم تناول تاريخ مصر بعد القرن التاسع الهجرى تقريباً ، بل وقبل ذلك بكثير ، حتى ليخيل إلى الكثيرين أن مصر كانت تعيش طوال هذه الفترة على هامش الحوادث السياسية فى العالم الاسلامى ، على حين يتراءى العكس لمن يتعمق بعض الشيء فى دراسة ظواهر هذا العصر ... لقد كان العصر الطولونى فى مصر ، فهل كان فى تاريخ أمة من أمم الشرق حينئذ ما يبزه من الناحية الاجتماعية أو السياسية ؟ لقد آثرنا هذا العصر بالذات لدلالته على حيوية مصر فى زمن كانت الدولة العباسية لا تزال فيه على جانب شديد من البطش والقوة . وتوالت على مصر بعد ذلك عهود لدول مختلفة كان موقف مصر فى أثنائها كلها فى صلتها بالخلافة العباسية موقف الند للند ، لا التابع للمتبوع

ومن العصور الطريفة فى تاريخ مصر عصر الأيوبيين ثم المماليك ، لما امتازت به هذه الفترة فى الشرق والغرب بأنها كانت عصر تلاحم دينى تعدى حدود الجدل إلى امتشاق الحسام فكانت الحروب الصليبية التى ظلت زمناً طويلا أهرق فيه من الدماء ما يدعونا لتسميتها بالمجازر البشرية

وفى أوائل عهد الدولة المملوكية كانت الخلافة العباسية مشرفة على الدمار ، فلقد ظهر المغول فى فارس ، وتقدموا شطر أطراف الدولة ينتقصون منها شيئاً فشيئاً فدمروا مملكة خوارزم شاه وحملوا الدمار والهلاك ، وكانوا يضمرون من الشر للاسلام ما تنبئ عنه محالفاتهم الكثيرة مع البابوات وملوك أوربا لهدم الحنيفة السمحاء . وتم للمغول بعض ما أرادوه ، فأزالوا الخلافة من بغداد ثم تحولوا شطر مصر ، وكانت — كما هى اليوم — معقل الاسلام ، فأخذت حملاتهم تنقض على أطرافها من جهة الشام ، ولكن قيض الله للاسلام إذ ذاك هذه الدولة الفتية المملوكية فوجد رجالها فى محاربة التتر ما يتفق وما نشأوا عليه من الفروسية . والعجيب فى أمر هذه الدولة الناشئة أنها استطاعت أن تصد عادية قوم وطأوا أرض أوربة وأشرفوا على سهول المجر ، وقضوا على الدولة الخوارزمية والخلافة فى بغداد

وكان من رجال المماليك الظاهر بيبرس ، فوجه جهوده بعد أخذه مقاليد الحكم بعد قطز إلى صد التتر فهزمهم عند البيرة كما هزمهم من قبل عند عين جالوت . والواقع أن ما بذله بيبرس من صدهم ونجاحه فى هزيمتهم قد مكن لهيبة مصر فى العالم الغربى حيث كانت الدول المسيحية تترقب الفرصة للانقضاض على مصر التى اضطلعت بأعباء السياسة ومواجهة العالم الغربى . كذلك خافه أمراء البيت الأيوبى لهزيمته قوماً كان يظن

(*) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ فى ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير

أن لن يستطيع أحد ما خضد شوكتهم . كذلك قضى على طائفة الحشيشيين فى بلاد الشام ، وكانوا شوكة تقض مضجع ملوك المسلمين وتهدد الاسلام . ولقد عرض الأستاذ جمال الدين سرور لهذه النواحى فى شئ من الاسهاب والتفصيل ، وإن لم يكن ذلك بالكثير من أجل تاريخ حياة رجل أمد الاسلام بقوة ، بعد أن كان مهدداً بالزوال أو الضعف الذى لم تكن ترجى بعده قوة له

كذلك تناول المؤلف الحضارة المصرية فى عهده ، فجاء بصورة مشرقة النواحى ، تختلج الحياة بين سطورها ، وتلتمع الفكرة الرشيدة والغاية النبيلة فى النتائج التى جاءت بهـا هذه الحضارة من الاهتمام بالجيش والبحرية والرخاء المادى . ولو أننى حاولت فى هـذا المقال أن أحلل ما تناوله الأستاذ سرور من أوجه الحضارة المـادية والأدبية لضاق النطاق ، وإن كان فصله عن الحياة العلمية والأدبية (١٥٨ — ١٦٤) فيه شيء من الجدة والرونق ، ولـكن حسب القارئ أن يطالع بنفسه عرضه الوافي الممتع لضروب هذه الحضارة المختلفة ، حتى يقف بنفسه على مدى الجهد الذى بذله المؤلف فى هـذا السبيل . غير أنى آخذ على الصديق سرور عدم دراسته للحياة الشعبية ، فذلك بحث لا يخلو من طرافة وجدة ، وما كان أولاه أن يخصص من أجل هذه الناحية فصلاً ، فما أسمى النواحى التى تناولها إلا « بالحياة العليا »

وبعد فان مؤلف هذا الـكتاب جدير بأن يتابع دراسته فى هذه الناحية العظيمة المجهولة

حسن حبشي

محاضرات اسلاميـــــة

تأليف الأستاذ عبد الرحمن الجديلي

بقلم الأستاذ إسماعيل السعداوى

ألقى الأديب المعروف، الأستاذ عبد الرحمن الجديلي، السكرتير للمرحوم سعد باشا ، على العالم العربى ، من مذياع مصر ، هذه المحاضرات التى طبعت جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية الجزء الأول منها ، وضمنته عشرين محاضرة

والأستاذ الجديلي ، ربيب ثورة مصر الأدبية والسياسية . ضمه قائدها العظيم سعد إلى خاصته ، وألقى إليه بأسراره وتدوين أفكاره ، لما رأى أن تياره الأدبى والفكرى ، يتفق وما يشتهى فى المثل القوى للشباب المصرى الجديد

ومكث فى معهد سعد ما مكث ، أبصر ما يكون شاب بطريق الحياة لقومه ، والسعادة لوطنه . وكثيراً ما كانت تدفعه روحه القوية للعمل فى الميدان الأدبى ، فيظهر لأدبه طابع خاص ، تبدو على جوانبه ثورة الشباب الدائب ، فى ثروة الأدب الشاب الذى يمد المشاعر والأفـكار بما يعوزها من تصور وتصوير

ثم هو — قبل ذلك — قد نشأ نشأة دينية ، بين مدارج الأزهر الشريف ، ومعارج القضاء الشرعى ، حين أزهر نبت الأستاذ المجدد الشيخ محمد عبده . فتضافر المعهدان — الأزهر والقضاء الشرعى — على تكوينـه ، وتكاتفت الثورتان — ثورة الامام وثورة سعد — على تكوينه ، فجاء وكأنمـا دعت إلى وجوده ضرورة من دين، ونزعة من أدب ، وحاجة من قصص ، وداع من ثقافة عالية سامية .

سمعناه من المذياع ، ورأيناه بين صفحات الكتاب ، وسمعنا عنه شيئاما ، فكان — فى ذلك كله — سبيكة واحدة ، ميزتها الأحداث الحارة بالصقل واللمعان .

وقد نسج محاضراته من رفيع الأدب ، وعالى المثل ، وقويم النظريات ، وروح الاسـلام . وجعلها فى ثوب قصصي شائق . يغرى الآذان بالانصات ، والنفوس بالاعجاب

وأكثر ما يغرى بها — تعرضها لما بين السلف والخلف من خلاف على الذوق ، والخلق ، وفهم الحياة ، ومعنى استخدامها الانسان ، واستخدام الانسان إياها . فهى تحكم الحـكم الفصل الذى لا يدع ضغينة ولا حفيظة بين الجميع ، وتستخدم المنطق والواقع فى استدلالها ، وتدعو إليه حتى تهتز لدعوتها الأفكار والألباب فاذا هى إيمان ويقين .

فاذا دعونا إلى تأثره فى الخطى ، وتتبعه فى الانتاج الدينى الأدبى، فلأنه — حقا — جدير بذلك، وبما هو فوق ذلك

اسماعيل السعداوى



السينما المحلية

أجنحة الصحراء

أول أفلام الأستاذ أحمد سالم

نشطت حركة السينما المحلية في السنوات الثلاث الأخيرة نشاطاً يدعو إلى السرور والاغتباط . ولا ريب في أن السينما المحلية ربحت ربحاً كبيراً ببقاء الأستاذ أحمد سالم في ميدانها بعد استقالته من استوديو مصر . فهو شاب مقدام وطموح ، تواق إلى العمل

دخل الأستاذ أحمد سالم الميدان السينمائي مزوداً بكل ما ينبغي أن يتزود به مخرج ومنتج سينمائي ، ولا نزاع في أن الأفلام التي أخرجها استوديو مصر في العامين الأخيرين قد أكسبه الاشراف عليها خبرة ومراناً عملياً تاماً . وما دمنا في معرض الحديث عن الأستاذ سالم فلنقل إن (أفلام الطيران الحربي وحياة الطيارين) هي (مودة) الموسم القادم في أمريكا وأوروبا ، وأول فلم يفتتح به سالم حياته كمخرج ومنتج مستقل هو : (أجنحة) الصحراء . والفلم كله (طيران) وبطله ضابط طيار . . . وفي هذا الاختيار ما يدل على تتبعه لآخر (المودات) في عالم السينما !

والقصة من تأليفه ، وموضوعها - كما قدمنا - جديد مبتكر ، وخلاصته أن ابناً لأحد كبار الذوات في مصر خطب ابنة عمه وهو طالب طيران في الكلية الحربية . ولما تخرج ضابطاً عين في (مرسى مطروح) ، وبعد مدة قضاها هناك عاد إلى القاهرة بطائرته وفيها التقى بعمه وطلب إليه الاسراع بتأثيث المنزل الجديد حتى يستطيع حمل الأثاث إلى مقر وظيفته وحتى يستطيع اجراء حفلة الزفاف قبل انتهاء الأجازة . وفي ذات يوم يكون (الضابط) جالساً في المطار هو وخطيبته فتهبط في المطار طائرة أخرى يملكها ابن أحد الأغنياء الذين لا عمل لهم إلا قضاء الوقت في النزهات والرحلات على متن الهواء . . . وتصاب الطائرة بعطب أثناء نزولها فيخف (الضابط) إلى نجدتها ، وبعد أن يتم له ذلك يحدث بينه هو وخطيبته ، وبين ركاب الطائرة ، تعارف قوي . . .

ومن بين ركاب الطائرة (صديقة) لذلك الشاب الوارث ، من بنات الهوى ، ترى الضابط ومعه خطيبته ، فتشعل بقلبها نيران غيرة عمياء ، وتنوي على الفور إفساد ما بينهما واقتناص ذلك الضابط الوجيه لنفسها . . . فتنتهز فرصة غياب (الخطيبة) وتظل تغري الضابط حتى تستميله إليها وتعده بالنزوح معه إلى مرسى مطروح إذا هو تزوجها . . وتعود الخطيبة فيقول لها الضابط إنه قد رأى عدم إتمام الزواج بعد تفكير كثير ، وتحار الخطيبة بادىء الأمر ولكنها تعود فتغلب عليها عاطفة (الحبيبة) المخلصة فتضحي بسعادتها وتزور على نفسها رأياً ليس لها ، وتعود إلى أبيها فتقول له إنها قررت بعد تفكير عدم إتمام الزواج . . . ويلح عليها والدها في معرفة السبب فتقول له إنها رأت أخيراً أنها لا تحبه . . . وأنها تشعر بأنها لن تكون سعيدة معه . وتذهب بنت الهوى مع الطيار في طائرته إلى مرسى مطروح ولكن عيشة تلك الجهات الحربية الصحراوية لا تروقها ، ولا تمضي بها شهور حتى تكون قد شعرت بأنها سجينة ، وساعد على نمو هذا الشعور في نفسها أن زوجها كان كثير المهام الرسمية فلم يكن يجد عنده الوقت الكافي لمرافقتها في نزهتها

وبمناسبة أحد الأعياد الأفرنجية تقضي العادة أن تقام حفلة راقصة في (استراحة) المدينة . فانتهزها الطيار فرصة وأسر في نفسه أن يصطحب زوجته معه في تلك الليلة إلى المرقص ، لتبهج نفسها ، ولترقص ، وليغشي بصرها بصيص من نور الحياة الأوربية التي حرمتها مرة واحدة . وإنه لكذلك إذا باشارة مستعجلة يتسلمها الضابط وكان قد اختير رئيس فرقة لمهارته وذكائه ، يأمره فيها القائد العام بالذهاب إلى جهة بعيدة بأقصى سرعة مستطاعة . وإذ كان الضابط لا يعرف نفسه وزوجه قبل أن يعرف واجبه ، أسرع إلى طائرته بعد ما أفضى إلى زوجته بجلية الأمر ، وانطلق على بركة الله وفي سبيل الواجب . . .

في نفس تلك السويعات يصل إلى مرسى مطروح ابن الذوات

الذى كان الضابط قد أنقذه . وكان طبيعياً أن يفكر — أول ما يفكر — فى زيارة منزل الضابط الذى أنقذه والذى توشجت بينه وبينه عرى صداقة وثيقة، ويذهب إلى المنزل فلا يجد الضابط ويجد زوجته ، فلا تكاد تراه ولا يكاد يدعوها للذهاب معه إلى الليلة الراقصة ، ويفهمها أنه جاء من مصر إلى مرسى مطروح ليرقص فى هذه الليلة حتى تستجيب لدعوته ، وترافقه إلى الاستراحة حيث البهجة والرقص . ومعلوم أن صداقتها القديمة له لابد أن يكون لها أثرها فى موقفهما الشيطانى اللعين

وترقص الزوجة ، وتمعن فى الرقص ، وتشرب وتسرف فى الشراب ، وتمجن وتذهب فى المجون إلى آخر الشوط . ويرى ذلك (القومندان) رئيس زوجها الذى يعرف فيه الشرف والاستقامة ، فتثور ثائرته ويغار على شرف مرؤوسه ، ولكنه لا يجرؤ على أن يفعل شيئاً آنذاك فى العلن وعلى ملأ من الناس، ويرى زملاء الطيار ما انزلقت إليه زوجة زميلهم ، فيسخطون ويتذمرون . حتى إذا انتهت الليلة عادت الزوجة إلى منزلها بعد أن اتفقت مع (صديقها القديم) على الهرب... ويلحق (القومندان) بها ويؤنبها على سلوكها ويفهمها كل ما صدر عنها مما لا يصدر عادة عن الحرائر الكريمات ، ولكنها تهزأ بتأنيبه ولا تسمع لقوله فيخرج وقد صمم على الافضاء إلى زوجها بكل شىء ...

ولا يكاد (القومندان) يوليها ظهره حتى تجمع ملابسها فى حقيبة وتسرع فتلحق بصديقها وتتحرك بهما الطائرة فى طريقها إلى مصر ... ولكن الطائرة لا تصل إلى مصر إذ يصيبها حادث فتفقد توازنها وتهوى براكبيها فى جهة غير صالحة لنزول الطائرات

وكانت إدارة مطار القاهرة تنتظر وصول الطائرة ، فلما لم تحضر فى الموعد أبلغت الأمر إلى جهات الاختصاص ، وجرى البحث عنها دون جدوى ، ويقر رأى الجميع على أنه ليس لانقاذ هذه الطائرة والبحث عنها إلا ضابطنا البطل ... ولكنه يرفض أن يقوم للمرة الثانية بانقاذ اثنين خاناه وعبثا بشرفه ... وأخيراً يصله خطاب من ابنة عمه وخطيبته السابقة — بعد أن تكون قد عرفت كل شىء من الصحف — تعرض عليه حبها من جديد وتطلب إليه أن يقوم بانقاذ الطائرة المفقودة ... ويفعل الطيار ذلك ، وفى عودته يصاب بحادث من فرط ألمه ، بعد أن تكون زوجته قد اعترفت له بأنها هربت ولكنها لم تعبث بشرفه قط ، وإن هربها إنما هو لسبب أنها تعيش معه عيشة لم تخلق لها ... ولا يصحو فى المستشفى إلا وابنة عمه إلى جوار رأسه ويستيقظ وزوجته القادمة تداعب شعره وتقبله قبلة الحب والتضحية

اخبار سينمائية ومسرحية

فيلم أم كلثوم الجديد



عرض الأستاذ رامى على الآنسة أم كلثوم مسودة روايتها السينمائية القادمة مع ألحان هذه الرواية . وقد فهمنا أن الآنسة قبلت الرواية وبدأت مراجعتها هى و (مجلس مستشاريها الفنى) لادخال التعديلات اللازمة عليها فى الحوادث وبعض عبارات الأغانى لا فى الرواية طبعاً !

عودة عبد الوهاب



يعود الأستاذ محمد عبد الوهاب إلى مصر فى الأسبوع الأول من الشهر القادم ويبدأ العمل مباشرة فى فيلمه الجديد الذى وضع قصته الأستاذ محمود بك تيمور ، والسيناريو الأستاذ محمد كريم . والذى علمناه حتى الآن أن الرواية من نوع جديد ، وسيفاجأ الجمهور بابتكارات جديدة فى الاخراج واختيار ممثلى الأدوار المختلفة

عودة فالنتينو

بمناسبة الذكرى السنوية للنجم الشهير ردولف فالنتينو ، عرضت بعض دور السينما فى أوربا وأمريكا بعض رواياته الصامتة . وقد دل الاقبال الهائل الذى صادفته هذه الأفلام — رغم مرور خمسة عشر عاماً على عملها — على أن الفقيد فالنتينو لم يفقد شيئاً من مكانته فى قلوب العذارى على الأقل

بول مونى وهتلر



يقرأ (بول مونى) مسرحية الكاتب الشهير (أرنست تولر) عن (هتلر) تمهيداً لقيامه بتمثيلها على المسرح وإذا عزم على تمثيلها فشركة إخوان وارنر هى التى تتولى الاتفاق على إخراجها

عودة شيهان الى المترو جولدوين

عاد المخرج المعروف (وينفيلد شيهان) إلى العمل كمخرج فى استديوات المترو جولدوين ماير وذلك أثر استقالته من رئاسة الاخراج فى شركة فوكس. وقد بدأ إخراج فيلم تدور حوادثه فى أحد ميادين سباق الخيل